التحدي الاستعماري الصهيوني

منهج لفهم الصراع

إن حديثنا عن الصراع العربي الإسرائيلي على أرض فلسطين إنما هو حديث عن مستقبل كل الأمة الإسلامية وبالتالي مستقبل العالم. ذلك أن الصراع الذي جرى على أرض فلسطين ليس إلا جزءا من تاريخ وجغرافيا العالم الإسلامي.

إن ذلك الصراع يمثل بشكل شبه كامل جدل العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فضلا عن التاريخية. بل ويمثل صراع القوى الكونية في تلك اللحظة من عمر التاريخ.

وإن فهمنا لطبيعة الصراع وتحليلنا للعوامل السابقة يقودنا إلى نتائج في غاية الخطورة والحسم.

مدخل تاريخي:

يظلل وجه التاريخ دوما ذلك الصراع المستمر والذي لم يتوقف لحظة بين القوى الربانية من جانب والقوى الشيطانية من جانب آخر. بما تملكه كل قوة من خصائص خاصة بها وأدوات وأساليب في الصراع خاصة بها أيضا ولكن ضمن سنن الله سبحانه وتعالى التي لا تستطيع أي قوة منها أن تتجاوزها.

فالقوى الربانية قوة الجماهير المسلمة بقيادة الطليعة المؤمنة وهي قوى تعمل

على:

- ربط مصير الإنسانية بأيدي كل الجماهير. أي أنها جماهيرية تعمل مع وبالجماهير.

- تحرير البشر كافة من الخوف والجهل والاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي والتخلف القبلي.

- قوى غير سلطوية بمعنى أنه لا إكراه لديها في أي شيء بل هي تعتمد في التفاف الجماهير حولها على تحرير تلك الجماهير من الاستبداد السياسي والتخلف القبلي والاجتماعي والظلم الاقتصادي ثم تترك للجماهير حقها في اختيار قناعاتها الدينية والسياسية والاجتماعية. فإذا بالجماهير تختار الإسلام لأن هذا يوافق فطرتها ولأن تصميم الكون والحياة والعقل البشري يقود إلى هذا تماما.

- قوى تعمل على إزالة كل أشكال التسلط من على وجه الأرض لتحرير كافة البشر (مفهوم الجهاد الإسلامي).

والقوى الشيطانية قوى غير جماهيرية. تعزل الجماهير باستمرار عن الوعي والعلم والمشاركة في بناء حياتها بل تمارس عليها استبدادا سياسيا بمعنى أنها تصادر حرياتها وحقها في الاختيار فهي تفكر لها. ثم هي تربطها بالقيود القبلية والاجتماعية ولا تترك لها فرصة للاختيار الحر وتقمعها اقتصاديا بمعنى أنها لا تلبي لها حاجاتها الاقتصادية المشروعة.

فهي في النهاية أن تمارس فئة من البشر التسلط والتحكم في الجماهير مستخدمة في ذلك إعلامها وشرطتها وأجهزتها القمعية المختلفة.

وبالتالي فإن أي نجاح في انتزاع حق من حقوق الجماهير في الحرية السياسية ورفع المعاناة الاقتصادية وتسليح الجماهير بالوعي هو في النهاية لصالح القوى الربانية. ضد القوى الشيطانية والعكس دائما صحيح.

ولقد حمل لواء القوى الربانية المستضعفون بقيادة الأنبياء وانتهى هذا اللواء إلى محمد بن عبد الله ﷺ. وكان ظرفا تاريخيا فلذا حققت القوى الربانية انتصارا ساحقا

على القوى الشيطانية وبدأت الجماهير تمارس حقها في العلم والوعي والحرية وبناء المجتمع اللاسلطوي واللاطبقي.

ولكن القوى الشيطانية بعد أن هُزمت. لم تستسلم وبدأت تطل برأسها من داخل المجتمع الإسلامي ذاته على مستويين:

المستوى الأول: هو إزاحة القيادات الواعية عن طريقها.

والثاني: هو ضرب النظرية السياسية الإسلامية وتزييف الإسلام المحمدي والصحيح لصالح إسلام أسري وطبقي.

وكان أن بدأت حركة القوى الشيطانية ضد الإمام علي رضي الله عنه لإزاحته ومن معه من طليعة مؤمنة باتجاه إقامة حكم انتهازي يصادر المفاهيم الإسلامية الصحيحة ويزيفها لصالحه.

وبدأت ضرب المفاهيم الإسلامية بلا هوادة، ويبدو أن تلك القوى قد أزاحت الطليعة المؤمنة عن قيادة الجماهير وكانت على وشك ضرب نهائي للمفاهيم، عن طريق بث العصبية القبلية وتزييف الإسلام وتفسيره تفسيرا طبقيا وعائليا لصالح المستكبرين. لولا أن الإمام الحسين رضي الله عنه قد حفر بدمه الذكي رافدا عميقا لاستمرار تدفق المفاهيم الإسلامية الصحيحة وحركة الجماهير بقيادة طليعتها المؤمنة في مواجهة الاستكبار. ولقد نجح الحسين عليه السلام في أن يفجر في لحظة تاريخية فذة وعي جزء من الأمة. ولولا ذلك لانتهى الإسلام برغم أن الإمام الحسين لم ينجح في إزاحة الاستكبار عن مواقع القيادة.

وهكذا تبدأ حقبة ذات طبيعة جدلية خاصة في الصراع تتمثل في جماهير مؤمنة بقيادة طليعة مؤمنة في مواجهة حركة استكبار وقيادة داخل الأمة الإسلامية وفي مواجهة قوى كفر خارجية – ولا يعني هذا أن ليس ثمة تناقض بين قوى الكفر الخارجية وبين قيادة الأمة الإسلامية من المستكبرين وإن كانوا في النهاية جزءا من القوى الشيطانية.

وبحسب قدرة الطليعة المؤمنة على دفع القيادة غير الشرعية للأمة الإسلامية على أخذ مواقف إلى الأمام بقدر ما كان يتحقق من انتصار خارجي على قوى الكفر المباشرة. وبهذا نفهم الفتوحات الإسلامية برغم إزاحة الطليعة المؤمنة عن القيادة. وما هذه الفتوحات إلا استمرار للدفعة القوية والمبدعة لحركة المسلمين بقيادة الرسول ﷺ والتي ما كان لها إلا أن تمتد. وهي أيضا أداة لتنفيس الضغط النضالي للقوى المؤمنة على القيادة الانتهازية وفي هذا الإطار أيضا علينا أن نفهم الانتصار على القوى الصليبية ومع بعض الاختلاف ويشاء الله سبحانه أن يدفع للأمة الإسلامية بقوة شابة صاعدة ممثلة في الدولة الإسلامية العثمانية. فتدفع الحدود الإسلامية باتجاه الاتساع وتوقف إلى أمد الهجمة الصليبية الشرسة على العالم الإسلامي بل وتنزل بها ضربات قاسية ومؤلمة. ولكن ما كان لهذه القوى أن تستمر حيث إنها فقدت شرطا أساسيا من شروط الاستمرار وهو أنها استبدلت بقوة الجماهير المؤمنة المجاهدة نظاما عسكريا نظاميا. كان لابد أن يتلاشى أو يسقط مهما كانت قوته. كما أنها لم تتمثل النظرية السياسية الإسلامية تمثلا صحيحا فغيبت الجماهير عن أداء دورها. وهكذا فمهما كانت قوة الدفع فإن الضمان النهائي والوحيد لاستمرار انتصار القوى الإسلامية هو عدم عزل الجماهير عن أداء دورها فالجماهير المؤمنة الواعية هي الضمان الوحيد لاستمرار رسالة الإسلام. وهي الضمان ضد الانهيار والضغط على بنيان الأمة سواء من الداخل أو من الخارج.

وهكذا فإن قوى الشيطان قد وعت درس الحملة الصليبية جيدا وأدركت أنه لن يكفي ضرب الأداة العسكرية للأمة الإسلامية لإسقاطها ولكن لابد من ضرب الجماهير المؤمنة وطليعتها عبر تدمير هويتها الإسلامية وتزييف وعيها وإخراج تلك القوة الاحتياطية الهائلة من الساحة تماما وإلا فإنها ستظهر من وقت لآخر من تحت الرماد وكنار عملاقة تحرق في طريقها كل شيء.

فكانت الحقبة الاستعمارية التي ركزت على هدفين:

١ - محاصرة العالم الإسلامي جغرافيا (الكشوف الجغرافية) وضرب أداته العسكرية.

٢- عملية غزو ثقافي وحضاري شامل وغسيل مخ مستمر لتغييب وتدمير القوى الاحتياطية الكامنة (قوة الجماهير المؤمنة وقيادتها الطليعية) وذلك عبر:

(أ) تشجيع إقامة حكومات غير جماهيرية لا تسمح للجماهير بالمشاركة في أداء مهمات الحكم والحياة وذلك عبر خلق تناقضات طبقية واجتماعية، فتارة يسمح للبرجوازية (كطبقة) بالصعود إلى السلطة وتكريس تقييد الجماهير عن أداء دورها. (المرحلة الليبرالية).

أو عبر خلق فئة العسكرتاريا بالتحالف مع قطاعات صغيرة من الطبقة المتوسطة وتحقيق تغيرات اجتماعية محددة (دون مشاركة من الجماهير) ثم يتم مصادرة تلك المكاسب مرة أخرى في مقابل الضرب المستمر لقواعد الحركة الإسلامية وجماهيرها وقياداتها.

(ب) خلق فئة من الرأسمالية الطفيلية المرتبطة بمصالح الغرب وفئة من المثقفين المشوهين الذين يزاولون عملية غسيل المخ المستمر وليكونوا الوجه الآخر لعملية الضرب المستمر للإسلاميين والتبرير النظري لذلك.

وهكذا ضربت الحركات الإسلامية الشعبية بلا هوادة ولا رحمة على أيدي أنظمة عميلة وتم تصفية واغتيال وشنق وسجن كل من ينتمي إلى الطليعة المؤمنة.

إلا أن ذلك الضرب ضد القوى المؤمنة تم عبر عدة مراحل:

المرحلة الأولى:

إسقاط الخلافة وضرب ما تبقى من النظرية السياسية الإسلامية.

المرحلة الثانية:

زرع كيان يهودي عنصري في قلب الأمة يحول دون ظهور تلك الطليعة مرة أخرى ويشكل ذراعا فولاذيا لضرب تلك الطليعة، بل وضرب حتى مجرد احتمالاتها الجنينية في رحم الأمة.

وهكذا أصبح شكل الصراع في تلك الحقبة هو صراع بين القوى الشيطانية ممثلة

في الحركة الصهيونية بدعم كامل من الغرب الصليبي (أمريكا وأوروبا).

وذلك في مواجهة القوى الربانية التي تمثلها جماهير مؤمنة بقيادة طليعة واعية مع ملاحظة وجود حاجز قوي يمنع الطليعة من أداء دورها وهي أنظمة الحكم العميلة التي لا تكتفي بمجرد منع الطليعة من أداء دورها بل تطاردها وتنكل بها.

وفي إطار ما تقدم. فإن الهدف الحالي للقوى الشيطانية هو ضرب الجماهير المؤمنة وطليعتها وضرب حتى احتمالاتها الجنينية.

وبذلك يكون هذا الفهم مدخلا لفهم طبيعة الصراع في المنطقة. يأخذ الصراع الإسلامي الصهيوني شكله الخاص عبر مستويين:

المستوى الأول:

يمثل تناقضا جوهريا بين الطليعة المؤمنة وجماهيرها وبين رأس الحربة الشيطانية إسرائيل. كما ينبغي فهم تناقض رئيسي آخر بين الطليعة المؤمنة وبين الحكومات العميلة وبقدر ما تكون تلك الحكومات شرسة في منع الجماهير عن أداء دورها تجاه صراعها مع إسرائيل بقدر ما يزيد تناقض الجماهير مع تلك الحكومات.

المستوى الثاني:

هو التناقض الثانوي بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل وذلك يعني أنه برغم أن الطرفين في النهاية في خندق واحد ضد الجماهير المسلمة إلا أن ثمة تناقضا ثانويا موجودا بين تلك الأنظمة وبين إسرائيل.

وينبغي علينا الآن أن نفهم شروط وظروف كل من المستويين.

***

ولنبدأ بالمستوى الثاني:

١ - قلنا إن التناقض بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل ليس تناقضا جوهريا وبالتالي فإن ذلك التناقض يمكن أن يحل عبر التفاوض وبذلك يمكننا أن نقول إن التفاوض سمة أساسية من سمات الصراع بين الأنظمة العربية وإسرائيل.

٢- إن تلك الأنظمة بما أنها لا تملك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني فإنها لن تواصل القتال ضده حتى النهاية، ولكنها في إدارة الصراع مع العدو الصهيوني تحاول أن تكسب مجرد أوراق تساوم بها من ناحية ومن ناحية أخرى تسحب البساط من تحت أقدام الجماهير المؤمنة باعتبارها يمكن أن تكون نائبا عنها. وهكذا فإنها أنظمة مساومة تمتلك هامشا من المصالح يتطابق مع وجود إسرائيل وهامشا آخر تشكل إسرائيل خطرا عليها فيه، وبالتالي فإن شكل الصراع يأخذ ذلك المستوى.

٣- إن تلك القوى مهما كان شكلها ستسقط في النهاية في الحقبة الإسرائيلية لأنها لا تملك مبررا أيديولوجيا. للاستمرار حتى النهاية.

٤- إن تلك القوى والأنظمة تحاول استثمار حركات المد الجماهيري ضد إسرائيل لصالح تحسين ظروف التفاوض ليس إلا. بل وعلى استعداد أن تبيع دم الشهداء مقابل ثمن بخس.

٥- إن تلك القوى ليست على استعداد لترك الجماهير لممارسة حقها المشروع في مقاومة الغزوة الصهيونية لأن هذا خطر عليها هي أو صار هذا ما يحدث دائما في ضرب الأنظمة العربية لأبسط أشكال الرفض للغزوة الصهيونية وما حدث في منع حتى المظاهرات ضد إسرائيل في غزوها للبنان. منع وصول المتطوعين..

خصائص وشروط المستوى الأول:

١- التناقض الجوهري بين الجماهير المسلمة وبين إسرائيل يستمد أساسا من وعي تلك الجماهير أن إسرائيل ليست إلا آخر أشكال الصراع بين القوى الإلهية والقوى الشيطانية وأنها في هذه المرة تستهدف قلب الأمة المسلمة وعقلها معا وبالتالي فإنه صراع حضاري في جوهره وصراع فناء، فإما أن نكون وإما ألا نكون، وهكذا فإن الجماهير المؤمنة عاشت شعار «إن قضية فلسطين هي القضية المركزية للحركة الإسلامية». بطريقة فذة (فكل نظام يريد أن يقوم لابد أن يدخل من بوابة هذه القضية وكل نظام يسقط يسقط أيضا من هذه البوابة)...

٢- أن الجماهير المؤمنة بما أنها وعت شكل وحقيقة الصراع لا تملك أن تختار

إلا طريقا واحدا وهو حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى وإعلان الجهاد المقدس.

٣- أن الجماهير المؤمنة ترفض تماما طريق المساومات والتفاوض وخلافه بما أنها فهمت حقيقة الصراع.

٤- أن الجماهير المؤمنة يجب أن تعرف شروط وظروف عملها في إطار الأنظمة العميلة وفي إطار الهجمة الغربية الشرسة وفي إطار الزمان والمكان وعليها أن تدرس طبيعة التناقضات الموجودة في الساحة وتستفيد منها، وعليها أن تفرز حلفاءها وأعداءها بوضوح، وبالتالي فإن مهمات تلك الجماهير سنؤخرها إلى آخر الدراسة.

وانطلاقا مما تقدم ينبغي علينا أن نضع تحت الدراسة بعض الوقائع التاريخية الآتية التي توضح دور الجماهير المسلمة ودور الأنظمة كمحورين للصراع ضد إسرائيل ومراحل ذلك الصراع:

- ظهرت إسرائيل على يد اليهود وبدعم من الإنجليز البروتستانت (وعد بلفور).

- اعترف بها بمجرد إعلانها في ٤٨ أمريكا الصليبية وروسيا الشيوعية بل والأحزاب الشيوعية في العالم العربي والإسلامي.

- أيدها المسيحيون وبخاصة المارونيون في لبنان بمجرد قيامها بل دعوا إلى ذلك دعوات صريحة «يقول المطران مبارك في كتاب صدر سنة ١٩٤٨ إذا لم تقم لليهود دولة في فلسطين سوف يتعذر أن نعيش مع العرب في صعيد واحد ولم يكتف هذا المبارك بهذه الركلة فقط، ولكنه طاف بكل كنائس العالم وأمريكا ليلتمس من دولها في هيئة الأمم إنشاء وطن مسيحي في لبنان ليتعاون مع الوطن اليهودي في تأديب العرب.

وتحليل دور المسيحيين في إطار الحركة الإسلامية في آخر الدراسة.

- قامت الجماهير المسلمة بانتفاضات دموية قبل مطلع الثلاثينيات كانت الأولى سنة ١٩٢٠ والثانية ١٩٢٣ والثالثة سنة ١٩٢٩ وفهمت الجماهير المسلمة بحسها العميق أن الصراع ضد طرفي الهجمة بريطانيا والصهاينة مع ملاحظة أن التنظيمات

الداعية إلى مهاجمة بريطانيا كانت جمعية الشباب المسلم في حيفا ذات الصلة الوثيقة بالشيخ القسام.

وعلى الوجه الآخر تظهر الزعامات المحلية والعربية غارقة حتى أذنيها في الوسطية والتفاوض. بل وتقف كل القوى غير الإسلامية مواقف مشبوهة «يلاحظ موقف الشيوعيين الفلسطينيين من الانتفاضات».

- انتفاضة سنة ١٩٣٦ في حين كانت الجماهير تقدم دمها على ساحة الجهاد، وكانوا هم خارج الساحة يقودون المعركة وبعد ستة أشهر من الجوع والقهر، جاء الزعماء العرب في الممالك العربية (مصر والأردن والسعودية والعراق) ليأمروا الجماهير المسلمة التي تنزف دمها بإيقاف المعركة الأولى لأن الصديقة بريطانيا ستفهم مطالبنا في جلسات التفاوض القادمة.

- وعت الجماهير المسلمة في تلك اللحظات كيف أن الزعماء ليسوا على استعداد للذهاب حتى النهاية في النضال خوفا على مصالحهم فطرح عز الدين القسام نظريته الفذة في العمل التنظيمي الجماهيري الذي يعتمد على الجماهير الغفيرة المسلمة (عمال - فلاحين - بائعي جاز) ويتخذ الجهاد الإسلامي المسلح طريقا وحيدا. ولأن جماهير الأمة المسلمة هي صاحبة المصلحة في التصدي للغزوة الصهيونية ولأنها هي القادرة حتى النهاية فإن طريق القسام مازال يتحرك حتى اليوم عبر ذلك التاريخ. مع ملاحظة أن القوى السياسية خارج الإطار الإسلامي تتحرك لتحجيم دور الجماهير ومنعها من أداء رسالتها.

وقد تم ذلك عبر عدة مراحل:

(أ) المرحلة الليبرالية: الزعماء العرب يطرحون الليبرالية كشعار لهم ويمنعون الجماهير من الوصول إلى مراكز السلطة بالقمع والخداع مع ظهور تفاوت طبقي ضخم ولقد خاضت تلك الأنظمة مكرهة تحت ضغط الجماهير معركة سنة ١٩٤٨ ولكن ما كان أسهل على العصابات الصهيونية أن تضرب تلك الأنظمة ضربات قاتلة ليس لأنها أقوى من جيوشها ولكن لأن قادة تلك الجيوش بما يمثلونه من طبقات

وفئات اجتماعية ليس بينهم وبين إسرائيل تناقضا جوهريا فضلا عن أن ما يمثله هؤلاء من الليبرالية ليس إلا جزءا من الحضارة الغربية فكيف يستطيع أن يتحدى مثله الأعلى (لاشك أن إسرائيل تمثيل أكثر جودة للحضارة ولاشك أن الأنظمة العربية تمثيل متخلف للحضارة الغربية).

كما أن تلك الأنظمة قد دخلت الحرب كتنفيس لضغط الجماهير المسلمة عليها فهي ليست جادة في دخول الحرب.

وعلى الطرف المقابل تقوم الجماهير المسلمة والطلائع الواعية بالقتال البطولي مكملة طريق القسام (قام الإخوان المسلمون بقيادة البطل أحمد عبد العزيز بالقتال البطولي الرائع ضد اليهود وإلحاق قدر كبير من الخسائر بهم وكذلك المجاهد البطل فوزي القاوقجي وعبد القادر الحسيني. إلا أن الأنظمة العربية تمنع الجيوش الجماهيرية المسلمة من إكمال انتصارها فتوقع هذه الأنظمة اتفاقية الهدنة بل إن الملك عبد الله ينسحب من اللد والرملة تاركا إياها لليهود ليحتلوها.

وهكذا تنتهي حرب ١٩٤٨ لتدرك الجماهير المؤمنة أن عليها أن تناضل بشكل جذري ضد تلك الأنظمة العميلة التي حالت دون انتصارها وأدت بخياناتها إلى ضياع قلب الأمة الإسلامية وهكذا فإن حرب ٤٨ أدت إلى:

١ - انتهاء حقبة الليبرالية العربية وإفلاس تلك الأنظمة وعدم قدرتها على الاستمرار فجاءت الخمسينيات لتحمل لنا أنظمة العسكر.

٢ - أن التناقض الرئيسي هو بين الجماهير المسلمة وبين إسرائيل.

٣- أنه ليس ثمة تناقض رئيسي بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل.

مرحلة حرب ١٩٦٧:

لم تنقطع نضالات الجماهير المسلمة داخل الأرض المحتلة وخارجها ضد إسرائيل ولكن نلاحظ أن فترة ٤٩ – ٦٧ كانت تحمل بوجه خاص محاولة لسحق الكيان الإسلامي للأمة على كل المستويات حتى البسيطة منها، (اغتيال وشنق وسجن العديد من قيادات الحركة الإسلامية) مع تصاعد مد علماني قومي اشتراكي

على المستوى الثقافي والفني والمؤسسي. ويأتي عام ٦٧ لتتكرر نفس المأساة فالقيادة (هذه المرة الاشتراكية القومية) تترك جيوشها لتسحقها إسرائيل سحقا دون أن تطلق رصاصة تحت ستار مهزلة انسحاب مازالت تحمل الكثير من الأسرار غير المفهومة على المستوى التفصيلي، ولا داعي لأن نكرر أن نفس تلك الأنظمة بما تمثله من قوى وأيديولوجية غير قادرة على مواجهة مثلها الأعلى (الحضارة الغربية) التي هي جزء ممسوخ ومشوه لها كما أنها لا تملك في الأساس تناقضا مع الكيان الصهيوني (يلاحظ بعض الطروح الغريبة في تلك الفترة عن وحدة البروليتاريا العربية والإسرائيلية وغيرها من الترهات التي صدعنا بها السادة اليساريون في تلك الحقبة).

وهكذا يأتي عام ١٩٦٧ لينهي رسميا حقبة الاشتراكية وإن كانت بعض تلك الأنظمة قد عاشت بعدها إلا أنها عاشت في الوقت الضائع من عمرها مهما طال ذلك الوقت. وذلك بسبب عدم قدرة الحركة الإسلامية على التقدم والقيام باستلام زمام الأمة لأسباب خاصة.

وهكذا فإن الهجمة الصليبية الصهيونية منذ عام ١٩٦٧ قد استطاعت أن تحل تناقضاتها مع الأنظمة العربية لصالحها وما عليها إلا أن تتقدم لتصبغ كل شيء بالصبغة الإسرائيلية ولتفتح عصر الحقبة الإسرائيلية وخصوصا أن الحركة الجماهيرية المسلمة قد تم ضربها ضربات موجعة وبدا أن تلك الحركة لم تعد قادرة على التصدي للهجمة الصهيونية داخل كيان الأمة وعقلها ووجدانها ولكن هيهات.

تبدو ملامح تلك الفترة في:

١- إقامة أنظمة عميلة مباشرة للقوى الإسرائيلية بمعنى أنها تتلقى أوامرها مباشرة من شارون وبيجين.

وهذه الأنظمة أنظمة تلفيقية لا تملك أيديولوجية محددة فهي تارة ديمقراطية اشتراكية أو قومية أو....

٢- أن تلك الأنظمة لا تملك أي تناقض مع إسرائيل بل إن تناقضها الأساسي مع الجماهير.

٣- أنه لتحرير الحقبة الإسرائيلية ينبغي تحقيق نوع من الانتصار المزيف لتلك الأنظمة تملك بعده أن توقع على صكوك الاستسلام الكامل لإسرائيل.

٤- يتم تزييف الثقافة والفن بشكل كامل لصالح إسرائيل (رفع كل ما يمت للتاريخ الحقيقي بصلة من المدارس – إغراق الأسواق بالأفلام والكتب والسلع ذات التوجه الإسرائيلي – منع خطباء المساجد من ترديد آيات القرآن التي تسب بني إسرائيل).. إلخ.

ملاحظة هامة جدا:

* ظهرت كثير من البطولات الإسلامية في سيناء والجولان بدوافع شخصية إسلامية بحتة بل وقام عرب سيناء المسلمون بكثير من العمليات العسكرية ضد إسرائيل ولم يفصح النظام عنها تمهيدا للحقبة الإسرائيلية.

* برغم الضعف الشديد للحركة الإسلامية في تلك الحقبة إلا أن الحركة الإسلامية قد تصدت لتلك الحقبة بشكل قوي جدا أسهم في تأخير الحقبة الإسرائيلية وتقليل كثافتها بشكل كبير جدا ممثلا في:

١- حركة الشيخ حافظ سلامة في الدفاع عن مدينة السويس الباسلة، والضرب الموجع للقوى العسكرية الإسرائيلية على مشارف السويس، وتنظيم حركة شعبية إسلامية داخل المدينة وقفت حائلا دون دخول اليهود للمدينة.

ولقد كان لموقف الجماهير بقيادة الشيخ حافظ سلامة أثر كبير في عدم حبك تمثيلية كيسنجر لطبخ التسوية.

ملاحظة:

اعتقل الشيخ حافظ سلامة في سبتمبر سنة ١٩٨١ وظل في السجن أطول مدة حيث لم يخرج إلا في يناير سنة ١٩٨٣ كان قد أفرج عنه ثم أعيد اعتقاله.

٢- حركة المقاومة المستمرة لاتفاقية كامب ديفيد من قبل الأطراف الإسلامية ويلاحظ حركة الشيخ أحمد المحلاوي في رفض كامب ديفيد. وكذلك جماهير الأرض

المحتلة بقيادة المشايخ الثوار.

وهكذا فإنه في الفترة من سنة ١٩٦٧: ١٩٨٢ نلاحظ أن نفس الأشكال والخصائص مازالت متمثلة.

- أنظمة وقوى سياسية جزء من الهجمة الغربية تسقط تباعا في كامب ديفيد - كامب فاس. مبادرة فهد.

- وعلى الجانب الآخر حركة الجماهير المسلمة - حافظ سلامة - أحمد المحلاوي - أسعد التميمي - عبد العزيز عودة.... إلخ.

* قلنا إن الأنظمة العربية لم تعد تملك تناقضا مع إسرائيل والهجمة الاستعمارية، ووقعت في شرك العمالة المباشرة لإسرائيل وسحبت بنادق جيوشها من اتجاه إسرائيل إلى اتجاه قلوب الجماهير المسلمة وإن وظيفتها في تلك المرحلة ستكون ضرب الجماهير المسلمة بلا هوادة وتغييبها وتزييف وعيها إلا أن سقوط تلك الأنظمة سيكون متفاوتا بحسب الظروف الذاتية والموضوعية لكل منها. وقلنا إن الجماهير المسلمة هي وحدها التي تملك تناقضا جوهريا وبالتالي تملك القدرة على التصدي لإسرائيل. وظهر مما سبق وطبقا لهذا التحليل أن الأنظمة العربية لم تخض معركة واحدة مع إسرائيل وأنها كانت تهزم قبل أن تدخل المعركة وأن القوة الوحيدة التي استطاعت أن تحقق انتصارات تكتيكية ضد إسرائيل هي قوة الجماهير المسلمة وأنها قادرة على الانتصار النهائي ما لم تحل الأنظمة العربية دون ذلك.

وهكذا تبدأ الثمانينيات وقد فرزت القوى على النحو الآتي:

(أ) قوة الجماهير المسلمة بما لها من مصلحة في الصراع وبما أنها تدرك بعده التاريخي والحضاري. وبما تملك من حصانة ربانية خاصة وهي غير قابلة للهزيمة وإن كانت حتى هذه اللحظة غير قادرة على النصر وغير مسموح لها بتحقيقه.

(ب) الأنظمة العربية بكافة تياراتها واتجاهاتها وهي تفقد كل تناقضاتها مع الكيان الصهيوني بل وتملك هامشا من المصلحة المشتركة مع الكيان الصهيوني وتعرف إلى

من توجه بنادقها. وبالطبع تتفاوت هوامش المصلحة وتتفاوت سرعة السقوط ومداه من نظام إلى نظام وتفرز تلك القوى إلى:

١ - الأنظمة الرجعية العربية بقيادة فهد. وهي الآن لم تعد تملك أي تناقض مع الكيان الصهيوني وعلى استعداد للذهاب إلى النهاية لتكريس الحقبة الإسرائيلية.

٢ - بعض الأنظمة العربية ولظروف خاصة مازالت تملك تناقضا شكليا مع الكيان الصهيوني نظرا لبعض الظروف (النظام السوري مازال نظاما خائنا وعميلا وبشعا وقذرا حتى النخاع ولكن لأن شكل التسوية في المنطقة يستبعده بشكل أو بآخر ولا يعطيه نصيبا طيبا فإنه مازال يرفض دون أن يكون لديه مبررات أيديولوجية أو تاريخية للرفض).

٣- ليبيا مثلا يأخذ العقيد القذافي موقفا دون كيشوتيا بدون لا نظرية ولا أيديولوجية ولا حتى رغبة في البحث عن ذلك.

٤ - المقاومة الفلسطينية وهي التي مازالت تحمل تناقضا ما مع الكيان الصهيوني، ولنعرف الآن لماذا برغم أن منظمة التحرير بتكوينها الحالي وتوجيهات قياداتها وأيديولوجيتها لن تختلف كثيرا عن الأنظمة العربية بمعنى أنها مازالت تطرح نفس الطروحات التي ثبت فشلها من ليبرالية يمينية (السرطاوي) – وقومية وطنية «فتح» ويسارية بمختلف الدرجات.

الجبهة الشعبية: جورج حبش – نايف خواتمة.. إلخ.

وبمعنى أنها مادامت جزءا من الطرح الغربي. فهي ليست قادرة على التصدي لرأس الحربة الغربية كما أنها وبسبب فقدانها لرؤية تاريخية علمية أيضا سيتناقض سريعا هامش تناقضها مع العدو الصهيوني

وما تلبث أن تسقط في النهاية. لأنها بتكوينها هذا لا تملك أن تظل حتى النهاية في مواجهة العدو الصهيوني.

* يلاحظ في هذا الإطار تحركات السرطاوي وطروحاته الأمريكية.

* استعداد عرفات لتبادل الاعتراف بإسرائيل فضلا عن طرح المنظمة لقضية الدولة العلمانية بمعنى فقدان الرؤية التاريخية تماما.

* تحركات عرفات باتجاه الملك الخائن حسين وباتجاه كامب ديفيد.

* استعداد نايف حواتمة لجذوره العلمانية لشكل ما من أشكال الدولة الديمقراطية العلمانية في إسرائيل وبالتالي فإنه لا يملك تناقضا تاريخيا مع الكيان الصهيوني.

وهكذا فإن منظمة التحرير والمقاومة الفلسطينية عموما سوف تسقط في النهاية في الحقبة الإسرائيلية نظرا كما قلنا لفقدانها الرؤية التاريخية وممارستها لهذا الوضع الاستكباري مدة طويلة وعدم فهم أبعاد الصراع ثم مباشرة الصراع بذات الأدوات التي ثبت فشلها في ٤٨ وفي ٦٧.

ولكن يبقى شيء هام، أن المقاومة الفلسطينية مازالت تملك قدرا من التناقض تجاه العدو الصهيوني. فضلا عن عدم قدرتها على ممارسة المرونة إلى آخر المدى تجاه العدو نظرا لـ:

١- أن المنظمة والمقاومة قامت أصلا بفعل الشرعية الثورية وكرد فعل لإفلاس الأنظمة في مواجهة إسرائيل عسكريا وبالتالي فإن قدرة قيادة المنظمة على المهادنة أقل من قدرة أي نظام عربي.

٢- أن جسم المنظمات وكوادرها هو في النهاية من الجماهير المسلمة ذات الحس التاريخي الخاص وبالتالي فإن قدرتها على المناورة تبدو أقل كثيرا وليس أمامها إلا استمرار التلويح بالقتال والجهاد والكفاح المسلح إذا أرادت أن تحافظ على وجودها على رأس المسلمين الشرفاء الذين أقسموا على الدم يوم أن أعطوها قيادتهم.

٣- أن جماهير الأرض المحتلة من المسلمين مازالوا متمسكين بالهوية الإسلامية للصراع ولا تستطيع إغفال ذلك المتغير.

٤- أن قادة المقاومة يملكون قدرة أقل على قمع الجماهير نظرا لظروف تركيب وتواجد المنظمة على أرض ليست هي أرضها في النهاية.

٥- أن الذين خاضوا المعارك مع المنظمة من الجماهير المسلمة في لبنان وغير لبنان مازال على المنظمة واجبا أدبيا تجاههم.

٦- أن الأرض الفلسطينية مستهدفة بالكامل من العدو الصهيوني في المرحلة الحالية. وبالتالي فهامش المناورة صغير.

واصطدام المصالح على تلك الأرض مازال موجودا.

طبيعة الكيان الصهيوني

لكي نستطيع أن نواجه التحدي الصهيوني الذي يمثل رأس الحربة الشيطانية بتحد مكافئ له ينبغي لنا أن ندرس طبيعة هذا الكيان من حيث نشأته ومن حيث طبيعته ومن حيث توجهاته.

المجتمع التوراتي:

تستطيع أن تقرر بكل حزم أن المجتمع الصهيوني هو مجتمع توراتي تماما من حيث نشأته، من حيث طبيعته ومن حيث توجيهاته ولا داعي أن نكرر أن الصهاينة يلغون النصوص ويحرفونها ليؤيدوا وجهة نظرهم فهذا ليس من موضوع بحثنا.

ومسألة توراتية المجتمع الصهيوني واضحة تمام الوضوح في كل قواه السياسية وكافة الاتجاهات من يمين ويسار وحتى ملحدين.

«نشأ هذا البلد تنفيذا لوعد العرب ذاته ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحا عن شرعية هذا الوجود».

جولدا مائير في تصريح لها لـ «لوماند» الفرنسية بتاريخ ١٥ مايو عام ١٩٧١ «لاحظ أن جولدا مائير رئيسة حزب العمل الإسرائيلي»:

«لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها».

بيجين في أوسلو ونشرته صحيفة دافار عدد ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٨ وبيجين من كتلة ليكود:

«إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضا بلاد التوراة، بلاد القضاة، أرض أورشليم وحيرون وأريحا وأماكن أخرى» تصريح موشى ديان لجيروزاليم بوست في ١٠ أغسطس سنة ١٩٦٧.

وهكذا يتردد دائما على ألسنة الزعماء الصهاينة نفس الشعارات سواء كانوا من اليمين أم من اليسار، أعضاء في حزب العمل أو في كتلة ليكود ناطقين باسم الجيش أو باسم الحاخامية. التوراة ترسم كل شيء في إسرائيل.

ترسم ثقافة الأطفال في المدارس بناء على توجيه بن جوريون فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في الدراسة.

الزواج في إسرائيل زواج ديني ولا يوجد زواج مدني كما أنه لا يوجد في دولة إسرائيل دستور لأن التوراة هي القانون الأساسي للدولة.

كما أن التوراة ذاتها تعرف المواطن وتحدد من هو الإسرائيلي وهي ذاتها تحدد حدود الدولة بل وتبرر الحرب والإرهاب.

* علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب. فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا فالنص المكتوب يفرض علينا واجبا دينيا وهو أن نغزو أرض العدو. صحيفة هاريتس ٥ – ٧ – ١٩٨٢. على لسان حاخام برتبة نقيب.

والمذابح ابتداء من دير ياسين وحتى «صابرا وشاتيلا» تبررها التوراة.

«وحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل ومسن وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» سفر يسوع الإصحاح ٦ الآية ٢١.

وإن تصريح شعار دولة علمانية ديمقراطية في إسرائيل مجرد إلهاء ولهو. لأننا رأينا كيف أن الكيان الصهيوني، كيان توراتي حتى النخاع وبالتالي فإن من يطرح هذا الشعار كمن يدفن رأسه في الرمال أو يريد مواجهة مجتمع بأسلوب لابد أن يفشل

معه وليس مكافئا له وهو يسحب سلاح الجماهير المسلمة منها ولا يسحب سلاح الصهاينة منهم وبالتالي فهو طرح خائن ومرفوض فضلا عن أن هذا الشعار مرفوض تماما في إسرائيل فإسرائيل في نشأتها وطبيعتها لا تنفصل عن التوراة وإلا سقطت وبالتالي فإننا حين نطرح أن الصراع يجب أن يكون قرآنيا فإننا بالتالي نعطي تحديا مكافئا فضلا عن أن أمتنا لا تتحرك إلا من خلال قرآنها. وبالتالي فإنها حضارة توراتية بكل ما تملكه من إرهاب وعنصرية أمام حضارة قرآنية بكل ما تملكه من حرية وإخاء والصراع صراع حضاري.

المجتمع الصهيوني مجتمع عنصري يدعي الصهاينة أن كل يهود العالم اليوم من ذرية جنس واحد وكتلة واحدة بأمر الرب.

وهذه العنصرية تقوم أيضا على أساس توراتي وتستمد وجودها من عناصر التوراة التي حرفها اليهود، وهكذا فإن اليهود هم شعب الله المختار، وبقية العالم عبيد لهم. وهي فكرة مرفوضة من علم الأنثربولوجي وعلم الآثار ومرفوضة أيضا تاريخيا. ولكن يجب علينا كجماهير مسلمة. أن نطرح في مواجهتها شعار الأممية الإسلامية بمعنى أن نطرح شعار الظاهرة الثقافية في مواجهة الظاهرة العنصرية والظاهرة الرسالية المتفتحة على كل المستضعفين في مواجهة القومية الدينية الضيقة الأفق.

والإسلام يرفض فكرة العنصرية والعرقية ويطرح المسلمون أن كل مستضعفي العالم من مسلمين وغير مسلمين في خندق واحد أمام كل القوى الشيطانية حتى لو كان فيهم مستكبرون يتسمون بأسماء إسلامية. إن جماهير المسلمين تطرح رسالة يقوم بها الإسلاميون التي يمكن أن ينتسب إليهم أي شخص بصرف النظر عن جنسه ولونه ويتحالف مع الإسلاميين كل المستضعفين ويدافع هذا المعسكر عن كل المستضعفين حتى لو كانوا يهودا وهذا يسقط شعار القومية العربية في مواجهة القومية اليهودية.

الأسطورة التاريخية:

ووفقا لنصوص التوراة فإن الصهاينة يحاولون تلفيق التاريخ في المنطقة بشكل

يجعل لليهود حقا تاريخيا في فلسطين. وهكذا فإن اليهود يستعملون كل طاقتهم التاريخية في حشد قواهم ضد أمتنا وحضارتنا وبالتالي فإن أي طرح يجابه هذا التحدي يكون غير متكافئ ما لم يحشد طاقتنا التاريخية والحضارية أمامهم وهكذا فإن على الجماهير المسلمة أن تتسلح بالوعي التاريخي ابتداء من خيبر واقتحام القدس وتحريرها على يد عمر بن الخطاب لتستطيع مواجهة ذلك التحدي الحضاري.

أسطورة الصحراء الخالية:

روج الصهاينة لأسطورة أن أرض فلسطين شبه صحراوية وأنها لا زرع فيها ولا ضرع وعلى من شاء أن يأتي للحصول على ما يشاء من الأرض، هذا من ناحية ومن ناحية فإنهم يروجون للمعجزة الإسرائيلية الاقتصادية في أرض فلسطين.

وعلينا كجماهير مسلمة أن نواجه ذلك التحدي بما يلي:

- دراسة البيئة الاقتصادية للمنطقة وإثبات أنها لم تكن يوما ما صحراء.

- إثبات تآمر الرجعية العربية والأسر الإقطاعية مع الصهاينة في محاولة نهب الأراضي التي كانت مزروعة ولم تكن صحراء.

- التشبث بشدة بالبقاء بالأرض المحتلة ودعم صمود الأهالي داخل الأرض المحتلة، بل ودعمهم اقتصاديا لإقامة كيان اقتصادي عربي داخل الأرض المحتلة.

- دعم عملية التصنيع في دول المواجهة وبناء حائط اقتصادي صلب.

***

الكيان الصهيوني كيان استعماري

لابد أن نقرر هنا أن الكيان الصهيوني هو جزء من القوى الشيطانية التي تستهدف أمتنا بحضارتها ومصالحها ووحدتها وطبيعتها بوجود رأس الحربة الشيطانية.

يقول هرتزل في كتابه «الكتلة اليهودية ستكون جزءا من حائط يحمي أوروبا من

آسيا وستكون بمثابة حارس يقف في الطليعة ضد البربرية» لاحظ أن آسيا هي القارة المسلمة وأن كلمة البربرية تعني المسلمين.

وهكذا فقد حدد هرتزل دور الصهيونية كجزء من القوى الاستعمارية وكحليف أساسي لها وأنه سوف يؤدي دوره في ضرب حركة الجماهير المسلمة والوقوف كحائط أمام امتدادها.

والكيان الصهيوني كيان استعماري من نوع استيطاني وهكذا فإنه يعتمد على الإرهاب والإفناء في محاولة التفريغ للأرض من سكانها والحلول محلها وهكذا فإن كل يهودي يقيم في أرض إسرائيل فهو عدو لي مهما كان انتماؤه السياسي.

وإسرائيل تعتمد سياسة التوسع وبالتالي فهي كيان استعماري باستمرار استعماري بطبيعته، واستعماري بتركيباته، واستعماري بارتباطاته الاستعمارية وبدوره في المنطقة، وهكذا فإن مقولة التحالف بين البروليتاريا العربية والإسرائيلية التي يروج لها اليسار هي مقولة خائنة ومرفوضة وعلينا أن نسقطها لأن الكيان الصهيوني كله كيان استعماري بكل انتماءاته وطبقاته وهكذا فإن الطرح المكافئ لهذا يتمثل في:

- ضرب كل المصالح الاستعمارية وليس ضرب اليهود وحدهم.

- اعتبار كل يهودي على أرض فلسطين

مستباح الدم.

- إن كل أساليب التفاوض والمهادنة إلهاء وتضييع للجماهير وصرفها عن دورها الحقيقي.

- اعتبار حرب التحرير الشعبية الإسلامية هي الحل الوحيد.

الكيان الصهيوني كيان عسكري

تنفق إسرائيل أكثر من ٥٠ ٪ من ميزانيتها على الجيش وبذلك يمكن اعتبار الكيان الصهيوني كيانا توراتيا استعماريا عسكريا وهذا يدعونا لأن نواجهه بأيديولوجية

إسلامية وحرب تحرير شعبية وصراع حضاري متكافئ. ودراستنا لطبيعة المؤسسة الإسرائيلية توضح بجلاء عبث الدخول مع الكيان الصهيوني في حرب جيوش ولكن ترك الجماهير المسلمة لتواجه الكيان الصهيوني بحرب طويلة المدى.

الكيان الصهيوني كيان فاشي:

والكيان الصهيوني بتركيبته وطبيعته وتوجهاته، كيان فاشي فالديمقراطية الإسرائيلية ديمقراطية بالنسبة لليهود وليست ديموقراطية بالنسبة لغير اليهود والتحدي المكافئ لهذا هو النضال المستمر لجماهير المسلمين من أجل انتزاع حريتها داخل بلدانها ومزيد من إبراز الوجه الحقيقي للإسلام كرسالة تؤمن بحرية الجماهير ومساواتهم.

بعض الملاحظات الهامة:

قضية العداء للسامية:

- معاداة اليهودية ترجع إلى أصل مسيحي وهي من مخلفات الفكر القسطنطيني الذي ورث تقاليد كهنة المعابد اليهودية وتقاليد الإمبراطورية الرومانية، فبعد أن كانت تلك الكنيسة مستضعفة أصبحت تمارس الاضطهاد بمجرد استيلائها على السلطة وراحت تصب غضبها على كل الأديان الأخرى سواء كانت وثنية أم يهودية ووجدت في اليهودية منافسا خطيرا ينبغي القضاء عليه، واتهمت اليهود بأنهم عندما رفضوا الاعتراف بأن يسوع هو المسيح فقد أصبحوا في عداد «قتلة الرب» - من كتاب برنا ولازار (اللاسامية) نشر عام ١٨٩٤.

- معادة اليهودية (اللاسامية) فكرة تخدم الصهيونية حيث إن أعداء السامية يريدون التخلص من اليهود ولو على حساب إقامة دولة لهم في أراضي الغير.

- إنه لم يثبت في تاريخنا أي اضطهاد لليهود على يد المسلمين.

- إننا كجماهير مسلمة ترفض العداء للسامية ونعلن تضامننا مع كل مضطهد. وإننا نرفض فكرة اضطهاد اليهود من أساسها، لأن هذا موقف يأباه ديننا الحنيف

ولكننا بنفس القدر نرفض أن ندفع ثمن اضطهاد غيرنا لليهود.

***

إسرائيل والاستعمار الغربي

علينا أن نفهم أن هناك صراعا جوهريا بين القوى الإسلامية والقوى الشيطانية وأن القوى الشيطانية تمثل في العالم:

- استعمارا غربيا، صليبيا، شيوعيا.

- كيانا صهيونيا.

- وأن هناك تناقضا أيضا بين تلك القوى وبعضها، وبالتالي فعلينا ألا نقع في وهم أن إحدى القوى يعمل لحساب الأخرى، ولكن علينا أن ندرك أن هناك مصالح مشتركة تجمع بينها.

أهمية إسرائيل للاستعمار الغربي:

١- أن الغرب الأوروبي يعرف خطورة مد الجماهير المسلمة عليه وبالتالي فإسرائيل تبرز باستمرار أنها تعتبر بالنسبة لأوروبا الحارس ضد البربرية (البربرية تعني المسلمين).

٢- تقوم إسرائيل بمهمة الشرطي في الشرق الأوسط وذلك للحفاظ على المصالح الغربية البترولية التي لم يعد الغرب – الولايات المتحدة – بقادر على أداء هذا الدور.

٣- تصل إلى مراكز الأبحاث الغربية ووزارات الدفاع معلومات متصلة من إسرائيل بشأن أنواع الأداء لمختلف أنواع الأسلحة التي لم تستخدم بعد، وهكذا يستطيع الجيش الأمريكي مثلا تجربة أسلحته المتقدمة في جيش إسرائيل، وهكذا فإن مقولة اليمين بأننا نستطيع إقناع أمريكا أو المجتمع الأمريكي بحقنا المشروع هو قول من قبيل التضليل، فقضية أهمية إسرائيل الاستراتيجية بالنسبة للاستعمار الغربي قضية محسومة.

أن هذا يدفعنا لإسقاط مقولة إن أوراق اللعبة بنسبة ٩٩.٥ ٪ أو أي نسبة مئوية أخرى بيد أمريكا وعلينا أن ندرك أن علينا أن نعتمد على أنفسنا في مواجهة إسرائيل ومعرفة أن إسرائيل ليست وحدها في المعركة ولكن الغرب، كل الغرب ضدنا ووفقا لمصالحه وهكذا فإن دراسة بنيان وطبيعة وتوجهات الكيان الصهيوني لمواجهة التحدي بتحد مكافئ، أبرز:

- أن الحرب حرب حضارة ضد حضارة.

- حرب انتماء.

- أنه ما لم نتسلح بأيديولوجيتنا الإسلامية فلا فائدة.

- أن حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى هي الحل الوحيد.

- أن الحروب النظامية بالنسبة لنا خسارة مؤكدة.

وهكذا فإن التحدي يبرز شعار:

«أيديولوجية إسلامية وحرب تحرير شعبية»..

وهي نفس المقولة التي يفرزها إسلامنا وقيمنا وواجبنا تجاه ربنا فليس هذا هو واجبنا تجاه الله فحسب ولكن جزء من طبيعة رسالتنا كما أنه هو التحدي الوحيد المكافئ للتحدي الصهيوني كما سبق أن بينا.

***

تتبع مراحل الصراع

من الدخول – إلى ٤٨ لقد وافقنا بريطانيا على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب إلى اليهود في عام ١٩٣٤ ولولا الثورات العربية المتلاحقة لتم إنجاز هذا في الموعد المحدد..

د. حاييم وايزمان في مذكراته «التجربة والخطأ» الصادرة عام ١٩٤٩ :

إن دراسة تاريخ دخول اليهود إلى فلسطين والصراع التاريخي الذي دار على

أرضها يعطي للوهلة الأولى النتائج الخطيرة التالية:

- أن جماهير المسلمين الكادحين (فلاحين - عمال - فقراء المدن) هم الذين وقفوا بصلابة في وجه الغزوة الصهيونية وتصدروا لها منذ اليوم الأول.. وتحت شعارات إسلامية.

- أن الوجهاء - الإقطاع - البرجوازية. قد نهجوا جميعا منهجا مهادنا (حلول وسط - مفاوضات - وفود... إلخ) ولم يطرح هؤلاء يوما الكفاح المسلح، بل دائما يعتمدون على وعود الصديقة بريطانيا. كما أنهم لم يطرحوا الشعارات الإسلامية لمواجهة الغزوة، بل طرح قطاع كبير منهم العلمانية.

وعلى كل حال فهذا أمر طبيعي جدا فالتناقض بين البرجوازية - الوجهاء وكل العلمانيين من جهة والصهاينة من جهة ليس إلا تناقضا ثانويا (هامش من المصالح المشتركة وهامش من المصالح المتضاربة).

ولكن الجماهير المسلمة الكادحة كانت دائما تملك رؤية فطرية لطبيعة ذلك الصراع. فضلا عن أن توجهاتها الحقيقية كانت دوما إسلامية وبالتالي فإن تركيبتها الشخصية ومصالحها الذاتية تقف مباشرة ضد الاحتلال الصهيوني.

ولا تملك أي قدر من المصالح المشتركة معه.

وهكذا فقد مارست تلك الجماهير المسلمة منذ أول يوم خطها الصحيح - أيديولوجية إسلامية - كفاح مسلح.

على أنه ينبغي فهم الصراع من منظور التناقض الرئيسي والأخذ في الاعتبار التناقضات الثانوية. وأن القوى تتحدد على النحو التالي:

قوى استعمارية:

(بريطانيا - الصهاينة) تستهدف إقامة كيان في فلسطين لليهود. يكون حاجزا ضد البربرية لحماية أوروبا منها كما يحدد ذلك هرتزل بنفسه. وهذا يحقق الهدف البريطاني وفي ذات الوقت يكون هذا الكيان بمثابة دولة لجميع يهود الشتات الذين

عانوا من الاضطهاد طويلا. وهذا يحقق هدف اليهود.

والطرفين اليهود – الإنجليز يستهدفان بهذا الكيان حضارة الأمة بأسرها – وتدمير التوجه الإسلامي لدى الجماهير بما أن الجماهير هي الحائط الأخير والصلب والذي لم ينهر يوما ولن ينهار بإذن الله في مواجهة المحاولات الشيطانية الصليبية واليهودية لتدمير الإسلام.

ويكمن التكتيك الشيطاني (يهود – إنجليز) في دفع ظروف الصراع باستمرار في اتجاه تغييب الجماهير المسلمة عن أداء دورها بما أنها تدرك عدم جدوى مواجهتها وذلك عبر:

– طمس معالم التناقض الجوهري وتصوير المسألة على أنها ليست صراع بين جماهير المسلمين وبين الاستعمار كله واليهود ولكن على أنه صراع بين القومية العربية مثلا والقومية اليهودية – والإنجليز على الحياد.

أو على أنه صراع بين الوجهاء – الإقطاع – البرجوازية والعلمانية وبين اليهود، وأن الجماهير ليست مستهدفة. أي في النهاية دفع التناقضات الثانوية لتحل محل التناقض الجوهري.

– دعم العلمانية العربية لتحل تدريجيا محل الإسلامية وليس بغريب أن تشجع بريطانيا التوجهات القومية لدى اللاشريف حسين وغيره على طول المنطقة وعرضها – وتشجيع كل الفكر العلماني من قومي واشتراكي وغيره وهذا أمر واضح بما لا يدع مجالا للشك وليس هذا محل دراسة تطور ذلك الأمر وأبعاده ولكن يكفي أن نقول.

– إن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ كان عقب قيام الجامعة العربية ١٩٤٥ بتشجيع من الإنجليز واضح جدا.

– إن كل رواد الفكر العلماني كانوا من غير المسلمين.

– إن الحركات الشيوعية في المنطقة عموما أنشأها يهود. هنري كورييل وهليل شوارتز في مصر مثلا مع ملاحظة أن كل تلك التوجهات تنشط في إبان ارتفاع المد

الجماهيري في فلسطين.

- نشأت الحركة الشيوعية ونشطت في مصر مثلا في أعقاب ثورة ١٩٣٦.

قوى عربية علمانية:

غير إسلامية بالمفهوم الصحيح ويمكنها استخدام الإسلام أحيانا بشكل رجعي ومتآمر لتبرير خياناتها ولخداع الجماهير. وهذه القوى إما رأسمالية - رأسمالية زراعية - برجوازية صغيرة - اشتراكية.. إلخ. وهذه القوى تملك تناقضا مع الجماهير جوهريا أيضا وتملك تناقضا ثانويا مع الغزوة الاستعمارية الصهيونية وهي في صراعها تتسم بـ:

- عدم قدرتها على مواجهة الغزوة مواجهة علمية وفقا لطبيعة الغزوة وظروفها وعدم قدرتها على ممارسة الكفاح المسلح.

- نهج الحلول الوسط التي بها تضمن مصالحها. فهي تفاوضية ويمكنها في هذا الإطار أن تلعب دورين بمسألة التفاوض:

١ - أن تستفيد من حركة الجماهير في تحسين ظروف التفاوض.

٢ - أن تستخدم التفاوض ذاته في تخدير الجماهير وصرف انتباهها وتدمير حركتها وتحجيمها بالتالي. وسوف نفرد فصلا مستقلا إن شاء الله لدراسة طبيعة هذا المعسكر.

قوة الجماهير المسلمة:

وهي كما سبق تحليلها تتكون من الفقراء وتملك تناقضا رئيسيا مع الاستعمار والصهيونية معا وتدرك أن حضارتها ودينها وكيانها ومصالحها جميعا مستهدفة وهذا الباب لدراسة تطور صراعها مع الاستعمار في فلسطين على أنه ينبغي أن ننوه بأن المشكلة الرئيسية التي واجهتنا في هذا الصدد ليس قلة المعطيات التي تثبت نظريتنا في فهم الصراع ولكن كثرة هذه المعطيات إلى درجة مذهلة ورائعة. فالحقيقة أن هذا الصراع كان من الاستمرار والتنوع والإبداع رغم الظروف الصعبة إلى درجة أذهلتنا

وكان يمكن أن نستدرج إلى استطراد لا نهائي في تسجيل ذلك وهذا إغراء كبير. ولكن موضوع بحثنا لا يحتمل ذلك الاستطراد ولا قدرة الكاتب تسمح به وبالتالي فإني أدعو أن يكون هذا موضوع بحث مستقل يقوم به من هو أقدر منا وأكثر تخصصا لأنه بصراحة شديدة وبلا مبالغة فإن عطاء الجماهير المسلمين في فلسطين كان عطاء أسطوريا يجعل أقل الناس ذكاء يحني جبهته إعجابا لهذا الشعب المسلم البطل. ويجعل أيضا أقل الناس ذكاء يصل إلى حقيقة أن الجماهير المسلمة هي وحدها التي قاومت وهي وحدها صاحبة الحق في المصادمة وبالتالي فإن تغييبها أو تحريكها عن غير طريق الإسلام. خيانة كبرى.

وهكذا فإننا سنركز في اقتصار على تتبع ذلك الصراع وإثبات استمراريته وأصالته وسنورد رءوس موضوعات ليس إلا والتي تحتاج كل منها إلى دراسة مستقلة أدعو من جهتي كل من هو قادر على القيام بها ألا يتأخر لحظة عن ذلك. لأن جلاء تلك المسألة يعد الخطوة الرئيسية الأولى في القضاء على إسرائيل.

بداية الغزوة والظروف الموضوعية لعمل الجماهير المسلمة:

أرى من جهتي أن الغزوة بما أنها جزء من التآمر الذي لم ينقطع يوما على العالم الإسلامي بدأت بمحاولة استعمارية من أساطين الدهاء الإنجليز باستغلال الحلم اليهودي لإقامة وزرع كيان صهيوني في قلب الأمة الإسلامية لمنع تطور حركة المد الإسلامي ولمحاولة القضاء على تلك الأمة وليكون اليهود حاجزا ضد البربرية. ولقد التقى ذلك مع رغبة أساطين الصهيونية الذين يرغبون نفس الرغبة بما يحملون من حقد على الإسلام. وكان أن بدأ العمل لتحقيق ذلك.

وهكذا وجدت الجماهير المسلمة نفسها أمام العوامل التالية:

- استعمار إنجليزي. يستهدف تحقيق دولة يهودية في فلسطين كجزء من التكتيك الاستعماري ضد العالم الإسلامي.

- تدفق يهودي على الأرض المحتلة.

- وجهاء - وحكومات. ومثقفين علمانيين. باردي الأعصاب تجاه ذلك. بل ويمكن أن يوءدوا دورهم في مساعدة ذلك عن وعي أو عن غير وعي.

- سقوط وانهيار الخلافة الإسلامية العثمانية وما يسببه ذلك من سحب رصيد الثقة بالنفس. بل وانهيار إسلامي شامل عبر محاولات العلمانية والاستعمار في طمس معالم الإسلام وأهمها الوحدة الإسلامية ومفهوم الجهاد تماما.

- غياب طليعة إسلامية قادرة على قيادة الجماهير وتطوير نظرية سياسية إسلامية ومنظمات لمواجهة أعداء شديدي التنظيم.

وبرغم كل هذا كانت الجماهير المسلمة أروع وأكثر تجاوزا.

الصدام يبدأ:

بوعي إسلامي فذ بدأت الجماهير المسلمة تصطدم بالمهاجرين اليهود منذ أول أيامهم على أرض فلسطين. فلقد قام أهالي قرى الخضيرة وبتاح تكفا (ملبس) بالهجوم على المهاجرين اليهود الذين حاولوا الاستقرار في فلسطين وقد حدث هذا عام ١٨٨٦م.

انظر إلى الوعي المبكر لدى الجماهير المسلمة وانظر إلى سلوك الوجهاء والعائلات الإقطاعية.

بداية بيع الأراضي:

رفض الفلاحون الفقراء بيع أرضهم إلى اليهود رغم ديونهم ورغم محاولات الحكومة الإنجليزية بالتضييق عليهم عبر فرض الضرائب ودفع الفلاحين إلى الإفلاس ليضطروا إلى بيع أرضهم وإصدار قوانين تجيز انتزاعها من أجل أغراض المنفعة العامة التي يحددها الإنجليز بالطبع. وبرغم أن الإنجليز قاموا بإغلاق المصرف العثماني الذي كثيرا ما كان يساعد الفلاحين على تسديد ديونهم وبرغم كل تلك الظروف فإن مسألة بيع الأراضي لم تسجل يوما قيام فلاح فقير ببيع أرضه إلى اليهود أما الذين باعوا فكانوا كالآتي:

- أسر إقطاعية غائبة عن فلسطين ومعظمها يعيش في لبنان مثل سرسق، يكان - توبني - مدور.

- عائلات مسيحية فلسطينية. كسار - روك - خوري - حنا. وهذا يشكل ٩٣ ٪ من مجموع الأراضي التي بيعت.

الجماهير المسلمة - رجال الدين الشرفاء - مثقفين مسلمين ثوريين يبدءون في التحرك منذ الغزوة وعقدوا الاجتماعات وطالبوا بـ:

- منع هجرة اليهود.

- منع بيع الأراضي.

- فرض حظر على اجتماعات اليهود.

كما قاموا بالتظاهر كوسيلة من وسائل الاحتجاج.

كما قاموا باستعمال الصحافة كسلاح تنوير وكشف لطبيعة الغزوة الصهيونية.

وكسلاح لتعريف الجماهير بأبعادها الدينية والحضارية.

وكسلاح لتعرية وجه بريطانيا القبيح واتهامها بأنها مسئولة مسئولية مباشرة عن الاستيطان اليهودي وبالتالي فيجب التوجه ضد الإنجليز واليهود معا (الكفار).

وكسلاح أساسي في حشد الجماهير لتكوين منظمات قادرة على التصدي للغزوة.

ولنأخذ على ذلك مثلا واحدًا يبين مدى وعي طليعة الجماهير بأبعاد الغزوة.

نشرت صحيفة الكرمل «على لسان أصحاب المنظمات التي أفرزتها حركة الجماهير» جاء في البيان:

«هل تقبلون أن تصبحوا عبيدا للصهاينة الذين جاءوا لطردكم من بلادكم مدعين أنها بلادهم.. أيرضيكم ذلك أيها المسلمون؟.. إننا نؤثر الموت على أن نسمح بأن يحدث ذلك.

ثم حث النداء الشعب على القيام بما يلي:

- توجيه الضغط على الحكومة للعمل على حظر بيع الأراضي الأميرية إلى الأجانب.

- محاولة تطوير صناعات ومهن وطنية محلية.. عدم التعامل مع الإنجليز واليهود.

- استخدام القوة واجب على الأهالي لمنع بيع الأراضي وقتل سماسرة بيع الأراضي.

- العمل بكافة الوسائل على وقف الهجرة اليهودية.

انظر إلى حركة الجماهير المسلمة سنة ١٩١٣ كيف أدركت:

- كون الصراع عقائدي.. «أيها المسلمون»..

- كون الصراع ضد الاستعمار الإنجليزي واليهود معا.

- كون الاستعمار الصهيوني ظاهرة عقائدية واستعمارية في نفس الوقت وبالتالي فإن مواجهتها بالمقاطعة الاقتصادية وبناء حائط اقتصادي في مواجهتها.

- استخدام الكفاح المسلح ليس ضد اليهود وحدهم، ولكن ضد عملائهم وسماسرة الأرض.

وفي الوقت نفسه كان الوجهاء يتبنون العمل في البرلمان.. سعيد الحسيني.. ووضع التشريعات راغب النشاشيبي وبعضهم يعجب بالصهاينة مثل سليم الحسيني، وهذا شيء طبيعي، وفقا لمنهجهم السابق فضحه، ليس لهم إلا هذا.

استمرت الجماهير في حركتها عبر وجود عدة منظمات سياسية وعسكرية مثل المنتدى الأدبي ـ والنادي العربي ـ ونادي الإخاء والتعارف ـ وجمعية الفدائية، وسوف ندرس جمعية الفدائية بشيء من الإيجاز.

***

جمعية الفدائية:

«تسعى الحركة إلى تسليح الأعضاء بالأسلحة الخفيفة وإعداد قوائم بأسماء اليهود البارزين والعناصر الموالية للصهيونية من غير اليهود مع تسجيل مكان إقامة كل منهم – متابعة ما ينشر ويقال باللغة العبرية بين اليهود».

يتضح من الكلمات السابقة الإعداد للكفاح المسلح والثورة المسلحة وهذا يوضح أن حركة الجماهير المسلمة لم تتوقف يوما ولم تفقد يوما قدرتها على فهم الواقع وطرح أسلوب الكفاح المسلح في مواجهة اليهود.

ولقد وصف وايزمان نفسه نشاطات هذه الجمعية وغيرها في تقرير بتاريخ ٨ شباط سنة ١٩١٥ ويستفاد من التقرير أن أعضاء الجمعيات.

«كانوا يوفدون أحيانا إلى القرى لإثارة الفلاحين ضد اليهود – وتحاول هذه الجمعيات كذلك تنظيم «الإرهابيين» والمؤسسات السرية لكي تقوم فيما بعد بحرب عصابات ضد اليهود. وقد انخرط نفر منهم في صفوف رجال البوليس».

انظر إلى ما سبق يتضح لك استمرار خط الجماهير المسلمة وطليعتها الواعية في:

- حشد جماهيري واسع ومعاد لليهود. إثارة فلاحي القرى.
- منظمات عسكرية – إرهابية. حرب عصابات مع اليهود. «كفاح مسلح».
- الانخراط في سلك البوليس – التغلغل إلى داخل المؤسسات..

قطعا هذا منتهى الوعي..

* انظر كلمات الأستاذ جودت الحلبي أحد زعماء هذه المنظمة..

«لقد ابتعنا من الأسلحة بقدر ما أردنا وسنتلقى المزيد أيضا. وإن عملنا الرئيسي ينبغي أن يكون ضد اليهود. ولكن إذا ساعدتهم الحكومة فسنكون ضدها أيضا».

انظر كيف وعى السيد جودت الحلبي الارتباط بين السلطة واليهود.

وجاء في تقرير آخر مقدم إلى دائرة الاستخبارات الصهيونية..

«دعا السيد محمود عزيز الخالدي إلى»:

أن شباب هذا البلد لا يخشون أحدا بما في ذلك الحكومة الاستبدادية نفسها. إنهم يريدون البدء بالعمل حالا وهم جميعا على استعداد لملاقاة الموت سعداء. وإن معظمهم يسألونني دائما عن الموعد الذي يشرعون فيه بالثورة ضد الكفار ويظهرون فيه قوتهم ويتخلصون منهم إلى الأبد.

لاحظ:

- الربط بين الاستبداد ومنع الجماهير من مواجهة اليهود.

- لاحظ كلمة الكفار - فهم طبيعة الصراع - أيديولوجية إسلامية - الكفاح المسلح.

- الاستعداد للموت - الاستشهاد.

وهكذا استمر خط أيديولوجية إسلامية - كفاح في التصاعد والنمو ويجدر بنا أن نشير هنا إلى محاولة اغتيال وايزمان والتي اكتشفت قبل وقوعها.

ولعل هذه الحركة قد تركت تراكمات وعي وإضاءة في عقول ونفوس الجماهير مما أدى إلى أن أصبح الوضع على وشك الانفجار في أية لحظة. فبدأت المظاهرات في مارس سنة ١٩٢٠ في القدس وأماكن أخرى بعدها.

وفي يوم ١ مارس شنت عصابتان مسلحتان هجوما على اثنتين من المستوطنات اليهودية الواقعة قرب الحدود السورية وهي المطلة وتل حي وقد قتل في هذين الهجومين الكابتن جوزيف ترامبلدور وهو عسكري صهيوني بارز وستة يهود آخرون».

ثورة العشرين:

وفقا للمناخ السابق ونتيجة لاستمرار حركة الجماهير المسلمة كان من الطبيعي أن تستفيد قيادات الجماهير المسلمة من الأعياد الإسلامية التي تشكل زخما كبيرا في نفس الجماهير، فكان أن بدأت مظاهرة ضخمة جدا ثم ما لبثت أن تحولت إلى هجوم

على اليهود بالحجارة. واشتباك معهم وظلت أعمال العنف طيلة الفترة الواقعة بين الرابع من نيسان والعاشر منه على الرغم من إعلان الأحكام العرفية.

وبدلا من استثمار تلك الانتفاضة الرائعة في زيادة حجم الثورة على اليهود والإطاحة بهم مع الإنجليز قام الوجهاء بمغازلة السلطة البريطانية ولقد طالبت مجلة الكرمل المعبرة عن ذلك الاتجاه بـ «أن الحكومة البريطانية، حكومة قوية ومن ثم فمن الصعب علينا أن نحاربها. فلابد لنا إذا من أن نجعل ثورتنا تقتصر على محاربة خصومنا».

ولكن حركة الجماهير المسلمة لم تتوقف وقامت المظاهرات في حيفا ثم بعدها في يافا وذلك خلال الأسبوعين الأولين من أيار سنة ١٩٢٠ ففي يوم ٥ آيار تجمع نحو ٣٠٠٠ عربي إلى الشمال من المستعمرة ملبس (بتاح تيكفا) اليهودية التي تبعد عن يافا نحو عشرة أميال. وتجمع حشد قوي آخر جنوب المستعمرة يتألف من عدة مئات من الرجال ولقد اصطدموا مع اليهود والسلطة البريطانية.

* وسوف نقرأ معا تقرير لجنة كرافت:

ففي مركز إسلامي صغير من هذا النوع نجد لدى الناس ذهنية سياسية تفوق ما يقابلها في قرية إنجليزية ونجد أن بحث الأمور السياسية هو محور اهتمامهم الفكري الأكبر إن لم يكن المحور الوحيد.

* صموئيل: يعرب عن شعوره بالامتنان لزعماء «الحركة الوطنية العربية». يقول صموئيل في تقرير رفعه إلى تشرشل: بذلت أقصى جهدي لتهدئة الحالة فلو أن الزعماء السياسيين عملوا على تأجيج نيران الاضطرابات الحالية بدلا من كبح جماحها فإن البلاد بأسرها كان يحتمل أن تعيش في حالة من الفوضى وما كان النظام ليعود إلا بأكبر قسط من الصعوبة.

انظر إلى الزعماء «يلعبون دورا في تهدئة الجماهير بدلا من إلهاب حماسها».

وهكذا فإن الجماهير المسلمة تنتفض وتثور، والوجهاء والبرجوازية العلمانية

تجتمع وتنفض لتقرر اختيار وفد فلسطيني عربي لشرح القضية العربية الفلسطينية في أوروبا ولندن« من مقررات المؤتمر الفلسطيني الرابع. مع ملاحظة أن المؤتمر يوصي بضرورة تجنب جميع الحركات غير المنظمة!!

وهكذا فإن البرجوازية العلمانية لا تخرج عن خطها التقليدي وهو «التفاوض» كطريق لحل القضية. والبرجوازية العلمانية لا تخرج عن هذا الخط أبدا، إلا أنها وأحيانا تحت دفع الجماهير ربما تتصلب شيئا ما.

الجماهير تقاوم الهجرة بواسطة العنف:

اكتشفت الجماهير أن الوفد الذي ذهب إلى لندن تاه في الحلول الوسط ويمكنه أن يقبل الانتداب البريطاني – وهكذا اكتشفت الجماهير أنها وحدها القادرة على وضع حد للهجرة وهكذا بدأت الجماهير في تنظيم نفسها لمقاومة الهجرة بالغارات على اليهود.

وعقدت الجماهير الاجتماعات في الخليل والرملة ولوبية وطولكرم وحددت طريقها في الكفاح المسلح. والأيديولوجية الإسلامية.

ولقد حاول الصهاينة أن يواجهوا هذا بحملة منظمة ضد المناضلين وذلك بعمل جمعيات شكلية تدعي معارضة اليهود ولكن دون اللجوء إلى العنف.

«وهدف هذه الجمعيات هي العمل مع الحكومة وتنمية علاقات طيبة بين مختلف قطاعات المجتمع».

«لاحظ الآن روابط القرى»..

ولقد تمخض ذلك عن قيام إضراب شامل بمناسبة وعد بلفور وقام المسلمون بإطلاق الرصاص على اليهود ووقعت صدامات عنيفة بين الطرفين.

وكالعادة قام الوجهاء بتهدئة الحالة.

واستمرت البرجوازية العلمانية متمثلة في الوجهاء وبعض القوى الوطنية والقومية في تحركاتها لدفع التفاوض إلى الأمام وتحقيق أفضل الشروط من ناحية

وتهدئة وتخدير الجماهير من ناحية أخرى. ولكن السؤال الذي يبرز حتى الآن. لماذا لم تنجح الجماهير المسلمة في تصعيد تحركها.

والإجابة على هذا التساؤل تدفعنا لفهم طبيعة السقوط الإسلامي عموما في تلك الحقبة. وكذلك عدم قدرة تلك الجماهير حتى هذه اللحظة في إفراز منظمة ثورية تتمثل فيها خصائص تلك الجماهير المسلمة.

١٩٢٣- ١٩٢٩ الهدوء

لاشك أن وجود الأحزاب العلمانية والغير جماهيرية وغياب تنظيم إسلامي ثوري لجماهير الكادحين. قد جعل فلسطين تمر بحالة من الهدوء في تلك الفترة. ولكن لا يعني هذا عقم الرحم الجماهيري عن ولادة حركة إسلامية.

وفي الحقيقة فإن مسألة المفاوضات وصلابة الأحزاب العلمانية أو عدم صلابتها تتوقف تماما على مدى تقدم الجماهير. ففي الفترة التي يشتد فيها المد الجماهيري تظهر أحزاب أشد صلابة في إطار التفاوض ولكن ما إن يحدث جذر في مد الجماهير حتى تظهر على السطح أحزاب عميلة بطريقة مباشرة أو أحزاب معتدلة مثل الحزب الذي أسسه عارف الدجاني «الحزب الوطني». وقام الحزب برفع شعارات تصالح مع اليهود والإنجليز.

انتفاضة ١٩٢٩ وثورة البراق

ما لبثت الجماهير المسلمة أن استعادت حيويتها وبدأت الحيوية تدب في جسد الأمة من جديد وهكذا انتفضت الجماهير المسلمة في وقتها ضد اليهود وضد الإنجليز على أثر محاولة اليهود الاعتداء على قدسية المسجد الأقصى والجماهير المسلمة بطبعها حساسة لتلك المواقف الخاصة بالمقدسات وهذا شيء طبيعي.

ثورة البراق:

وكالعادة واستثمارا للمخزون التاريخي الهائل الذي يدفع المد الجماهيري إلى الأمام وفي ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام وفي يوم الجمعة ١٤ آب سنة

١٩٢٩ قامت الجماهير المسلمة بالتظاهر واستمرت حركتها إلى أن وصلت إلى أعلى مدها يوم ٢٣ آب وذلك بقيام الجماهير المسلمة بالهجوم على اليهود مسلحين بالعصى والمسدسات وحتى بالسيوف. وقد تجاوب معهم مسلمو نابلس والخليل فهاجموا اليهود حيث قام عرب الخليل بقتل ٦٠ يهوديا وجرح أكثر من ٥٠.

وامتدادا لحركة الجماهير الواسعة قام بعضهم بمحاولة عنيدة لانتزاع الأسلحة من مراكز البوليس في نابلس.

وفي يافا قامت ثورات مماثلة. وكذلك في حيفا قامت غارات على حي هادار هاكرمل ضاحية حيفا اليهودية.

وفي ٢٩ آب شن العرب هجوما على الحي اليهودي من صفر حيث قتل أو جرح نحو ٤٥ يهوديا وأضرمت النيران في عدة منازل وحوانيت يهودية.

وقد أدى تصاعد المد الجماهيري في تلك الثورة إلى زيادة تصلب بعض رجال الإفتاء ورجال الدين الرسميين.

ملاحظة:

يجب أن نرصد في ثورة حادث البراق الشهيرة ما يلي:

١- أن بواعثها ونقطة تفجيرها كانت بسبب ديني ولذلك كانت عنيفة جدا.

٢- بداية انتهاء سيطرة الزعماء على الجماهير.

٣- أن الجماهير بما تملك من رصيد تاريخي وتناقض حقيقي مع الكيان الصهيوني قادرة تماما على مواجهته.

٤- أن الجماهير تدرك أن الإنجليز واليهود في خندق واحد.

* من العجيب أن يدعو اليسار الفلسطيني في ذلك الوقت إلى توجيه المقاومة نحو الإنجليز لا نحو اليهود والإنجليز معاً.

* تخلى الوجهاء عن الثورة وأعلنوا تبرأهم منها في بيان رسمي وقعه النشاشيني

وموسى كاظم الحسيني.

الجماهير في حاجة إلى منظمة ثورية:

أحست الجماهير أنها في حاجة إلى منظمة ثورية تعبئ طاقاتها وتتبنى شعاراتها وتنهج خط الكفاح المسلح.

ولقد عرض شكيب وهاب القائد الثوري السوري «لاحظ البعد الأممي للحركة الإسلامية» في حديث أجراه مع المفتي الأكبر تنظيم عصابات للقيام بحملة ثورية يمكن أن تستمر طويلا. ولكن المفتي يقول إنه لا يعتبر ذلك ضروريا في الوقت الراهن.

وكذلك أفادت تقارير البوليس في تلك الفترة أنه يجري جميع التبرعات كما أنه وقع الاختيار بالفعل على ٤٠٠ عربي يشكلون نواة قوة مسلحة.

وبعدها أفادت التقارير أيضا أنه «تم تشكيل جماعات لمهاجمة الموظفين اليهود والبريطانيين وستعمل هذه الجماعات في حيفا ونابلس.

منظمة الكف الأخضر:

أعقب التحرك الإيجابي للحركة الجماهيرية المسلمة ظهور منظمة أطلق عليها اسم الكف الأخضر تتبنى خط الكفاح المسلح.

نشأت المنظمة بقيادة أحمد طافش في تشرين سنة ١٩٢٩ وشنت خلال الشهر نفسه هجوما على الحي اليهودي بصفد. وامتد نشاط المنظمة إلى عكا حيث بدءوا يعدون الكمائن لدوريات البوليس.

إلا أن تلك المنظمة قد انهارت بسرعة وذلك بمساعدة السلطات الفرنسية في المنطقة الخاضعة للانتداب الفرنسي.

ومازال أيضا الزعماء يتفاوضون في لندن!! وظهر الكتاب الأبيض ثم الكتاب الأسود وكلها لامتصاص مد الجماهير ومنعها من تنظيم نفسها وخلق جو من الضباب حول الأسلوب الصحيح المتمثل في أيديولوجية إسلامية وكفاح مسلح.

انتفاضة ١٩٣٣:

حيث إنه لا يمكن لحركة الجماهير المسلمة أن تنهار أو تتوقف وهكذا عمت فلسطين كلها انتفاضة عنيفة بدأت من يافا وامتدت إلى حيفا ونابلس. وصفد والناصرة وطولكرم.

* الوجهاء: أما في عكا فقد استخدم الشيخ الشقيري نفوذه لمنع وقوع مظاهرة كان من المقرر القيام بها.

ثورة القسام

وهكذا تزايد وعي الأمة بحقيقة الصراع وطبيعته وبدا أن الطرح الوحيد الصحيح هو منظمة ثورية إسلامية للكفاح المسلح ضد اليهود والإنجليز.

وهكذا نشأت حركة عز الدين القسام.

«عز الدين القسام. سوري المولد. إسلامي الثقافة – هاجر إلى حيفا عام ١٩٢١ بعد أن شارك في الثورة ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا والذي كان فيها قائدا بارزا ولم يجد الشيخ القسام بفضل ما يتمتع به من ثقافة دينية واسعة وبراعة في الخطابة صعوبة في الانضمام إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا. ثم انضم بعد ذلك إلى جمعية الشبان المسلمين التي تولى سنة ١٩٢٦ رئاستها ووقف القسام بوصفه مسلما تقيا ورجلا وطنيا ضد الصهيونية والحكم البريطاني وفي عام ١٩٢٩ أخذ يتجول في قرى شمال فلسطين بوصفه موظفا في المحكمة الشرعية بحيفا واستطاع بفضل اتصالاته هذه بالفلاحين في القرى وبالمصلين في المسجد أن يجند بعض العناصر الثورية التي نظمها في خلايا سرية لا يتجاوز عدد أفراد الخلية الواحدة منها خمسة أفراد. ثم أخذ ينشر بينهم الدعوة إلى الثورة ضد العبودية وضد الأجانب الكفار يهودا كانوا أم بريطانيين، وبعد حوادث عام ١٩٣٣ بدأ يجمع التبرعات لابتياع كميات صغيرة من الأسلحة استعدادا للقيام بثورة ضد الحكومة التي اعتبرها الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين. وحافظ القسام في اتصالاته وإعداداته على السرية التامة. وكان معقل القسام هو الحي القديم من حيفا حيث يقطن فقراء الفلاحين

الذين نزحوا من قراهم إلى المدن واضطروا أن يعيشوا في مستوى منخفض وأبدى القسام اهتماما حقيقيا أصيلا بتحسين أحوال معيشتهم وبدأ يكافح الأمية في صفوفهم من خلال إعطاء دروس ليلية.

وسرعان ما أصبح فلاحو المنطقة الشمالية يكنون له أبلغ الاحترام والمودة بفضل زياراته المتكررة لهم وما يتسم به من أصالة في الخلق والتقوى.

وبحلول عام ١٩٣٥ كان القسام قد نظم خمس لجان لتحقيق الأهداف التالية.

الدعوة، الدعاية، التدريب العسكري، التموين، الاستخبارات، العلاقات الخارجية.

ولقد طلب الشيخ عز الدين القسام من المفتي أن يعلن الثورة المسلحة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هو في الشمال ولكن الحاج أمين فضل أن يحل المشكلة بالشكل السياسي دون اللجوء لثورة مسلحة!!!

ولكن الشيخ قرر أن يبدأ الثورة في الشمال كرد حسيني على تخاذل المفتي مدركا أنه حتما سيفشل ولكنه سيخط ويحفر بدمه رافدا أصيلا للتوجه الحقيقي والطريق الصحيح للتعامل مع الغزو الصهيوني.

وهكذا في سنة ١٩٣٥ بدأت الثورة المسلحة لعز الدين القسام ضد البريطانيين واليهود.

غادر القسام يرافقه ٢٥ رجلا من أنصاره المسلمين في حيفا في الثامن عشر من تشرين الثاني قاصدا إلى ضواحي جنين لدعوة الفلاحين في تلك المناطق لحمل السلاح في وجه البريطانيين والصهاينة ولكنهم قبل أن يتمكنوا من تعميم دعوتهم ومفاجأة السلطات باحتلال حيفا. وقع صدام عرضي بينهم وبين البوليس نبه السلطات إلى وجود جماعات مسلحة وسارعت قوات الجيش والبوليس إلى ضرب نطاق حول المنطقة وعزلها.

بيد أن القسام، مدفوعا بإيمانه وحماسته وإخلاصه رفض الاستسلام وحث أتباعه

على القتال (كما الحسين) والاستشهاد في سبيل الله. وفي التاسع عشر من تشرين الثاني خاض المجاهدون معركة مواجهة مع القوات البريطانية في غابة «يعبد» بمنطقة جنين استشهد فيها القسام واثنان من أتباعه وأسر خمسة آخرون واختفى الباقون في الجبال.

تحليل لحركة عز الدين القسام

إن حركة عز الدين القسام تعكس الطرح الصحيح والتكتيك الموضوعي للنضال ضد الغزو الصهيوني. إن الحركة قد أدركت بوعي فذ طبيعة الكيان الصهيوني وطبيعة الظرف التاريخي وطبيعة حركة التاريخ التي تعني وقتها تفاؤل التاريخ رغم يأس المرحلة.

- الشيخ عز الدين القسام طرح الأيديولوجية الإسلامية لأنها الوحيدة القادرة على المواجهة بسبب كونها عقيدة الجماهير وبسبب طبيعة التحدي وهكذا فإن الشيخ الذي كان يطلق اللحية ويتمسك بالخلق والتقوى كان يفيض في الحديث عن الجهاد ضد الكفار.

- إن الشيخ عز الدين وعى بشكل فذ طبيعة الارتباط بين اليهود باعتبارهم ظاهرة استعمارية عنصرية وبين الإنجليز باعتبارهم ظاهرة استعمارية وهكذا فقد طرح أن الجهاد يجب أن يكون ضد الكفار من يهود وإنجليز.

- أدرك الشيخ عز الدين بوعيه الإسلامي طبيعة الصراع وأن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد فقام ببناء تنظيم سري عسكري وجمع المال واقتنى السلاح.

- أدرك الشيخ حقيقة هامة جدا في سبيل التحرير وهي أن المنوط بالتحرير والكفاح المسلح هم الفقراء والكادحين. عمال وفلاحين فتوجه إليهم وعاش بينهم وشكل تنظيما منهم. مدركا أنه لكي تكون إسلاميا وثوريا فيجب عليك أن تكون كادحا، أما الأسر الإقطاعية فقد كان يدرك عدم جدواها وعدم قدرتها على الكفاح المسلح، لقد طرح عز الدين القسام أخطر شعار، وهو المسلمون الكادحون على طريق الكفاح المسلح.

- أدرك الشيخ عز الدين القسام أهمية العلم في مواجهة اليهود والإنجليز

واستسلام الزعماء، فقام بتعليم أتباعه وجماهيره، وذلك ليلا في المساجد.

- أدرك الشيخ ضرورة النضال السياسي كجناح آخر للتنظيم والعمل الجماهيري فقام به بنفسه عن طريق الشارع والمسجد كما ألف لجنة للدعاية والدعوة.

وهكذا فإن الشيخ قد طرح برنامجا متكاملا وفذا في مواجهة الغزوة الصهيونية ولكن طبيعة السقوط الإسلامي في العالم وقتها كان أقوى من أن يواجهه الشيخ فما كان منه إلا أن قرر الاستشهاد على النمط الحسيني ليحفر بدمه في ذاكرة الأمة الأسلوب الصحيح لمواجهة الكيان الصهيوني، وليفجر رافدا من الوعي والثورية يمكن أن يستمر بعدها.

- أدرك الشيخ عز الدين أن محاولة دفع الوجهاء إلى الثورة هو عبث لا طائل تحته بعد رفض المفتي أمين الحسيني لمطلب القسام بإعلان الثورة في الجنوب وهكذا فقد علمنا القسام أن الفقراء هم الذين يثورون.

***

ثورة ١٩٣٦

لقد فجر النهج الحسيني الذي اختاره القسام وعيا هائلا لدى الجماهير المسلمة وحسم المسألة وحددها في خط الكفاح المسلح ضد اليهود والإنجليز معا ولقد حاولت السلطة البريطانية امتصاص ذلك الوعي ومحاولة تشتيت الجماهير فطرحت قيام مجلس تشريعي وتشكيل وفد مفاوضات.

ولكن الجماهير ما لبثت أن أمسكت بالسلاح وسارت على خط القسام وبدأت الاصطدامات اليومية مع اليهود ولقد ظهر في تلك اللحظة فرحان السعدي. أحد أعوان القسام، وقتل ٣ يهود كإشارة لاندلاع حرب الجماعات ضد اليهود والإنجليز.

وفي ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ حدث قتال بين العرب واليهود أدى إلى قتل ١٢ يهوديا وجرح ٦٥ منهم. وعمت الإضرابات (القدس - الخليل - حيفا) ومن حيفا بدأت

الدعوة للإضراب العام.

ولقد استمر هذا الإضراب العام من أبريل حتى أكتوبر (ستة أشهر) كما استمر الجهاد المسلح في كل مكان فألقيت القنابل وأطلق الرصاص واشتعلت الحرائق.

وهكذا نشهد ثورة من أعظم الثورات الجماهيرية في فلسطين: كفاح مسلح – إضراب – امتناع عن دفع الضرائب – مهاجمة معسكرات الجيش البريطاني والاستيلاء على البنادق والذخيرة.

في ١٢ يونيو ١٩٣٦ نشبت معركة ضخمة بين القوات الإنجليزية وبين الثوار المسلمين. اشتركت فيها الدبابات والطائرات.

وهكذا فإن الجماهير كانت قد أصبحت على وشك الإطاحة بالاستعمار الإنجليزي واليهود معا. وأصبحت الجماهير تملك الوعي والمنظمات الثورية ولكن وكالعادة يقوم الزعماء بدورهم التقليدي في إضاعة مكاسب الجماهير والتآمر عليهم.

في أكتوبر سنة ١٩٣٦ أذيع نداء بتوقيع كل من عبد العزيز آل سعود والملك غازي ملك العراق والأمير عبد الله أمير شرق الأردن على النحو التالي:

القدس – بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا..إلى أبنائنا عرب فلسطين..

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله. ندعوكم للإخلاد إلى السكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيقها العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم.

وفي الوقت الذي بلغت فيه الثورة مدى رائعا حتى أن صحف لندن ذاتها قالت «لقد بهر عرب فلسطين أنظار العالم أجمع بما قاموا به من أعمال عسكرية تدل على بالغ البطولة والمهارة في القتال».

وقال وزير المستعمرات: «إن فلسطين أسوأ بلد في العالم وإن أهلها يصبرون على

الثورة التي لا يمكن قمعها».

واستمر خط القسام وتمكن المناضلون من قتل أندروز حاكم لواء الجليل ومساعده. واستمر خط التفاوض والخيانة من الزعماء والملوك العرب.

***

مرحلة حرب ١٩٤٨

استمر خط الجماهير المسلمة في تصاعده التاريخي الرائع برغم يأس المرحلة ومهادنة الأحزاب والوجهاء والزعماء.

واستمر التآمر الاستعماري على قدم وساق ولقد تمثل التكتيك الشيطاني في تلك المرحلة في:

- استمرار تسليح اليهود متمثلا في مساعدات من الدول الاستعمارية وتواطؤ بريطاني يتم بموجبه تسليم عدد هائل من الأسلحة الموجودة في مخازن الحامية البريطانية في فلسطين إلى اليهود عن طريق تمثيلية محبوكة تسمى سرقة الأسلحة من المخازن البريطانية.

- إضعاف جبهة الجماهير المسلمة ونزع تسليحها ووضعها في أصعب ظروف للعمل.

- دفع الظروف في المنطقة بحيث يكون الجميع في حالة شلل تام ما عدا القوى الصهيونية.

ولقد بلغت المأساة ذروتها عندما صدر قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بأغلبية الأصوات في ٢٩ - ١١ - ١٩٤٧ بشأن تقسيم فلسطين.

وبرغم انكشاف الوجه السافر لبريطانيا وأمريكا كقوى استعمارية معادية للأمم الإسلامية إلا أن الزعماء والوجهاء مازالوا يطرحون سياسة إقناع بريطانيا واستجداء العطف وإلهاء الجماهير المسلمة ومنعها من أداء دورها في الوقت الذي تقوم فيه القوى الصهيونية باحتلال مدينة بعد مدينة بعد مدينة وموقع بعد موقع.

الجماهير المسلمة ترد:

أما الجماهير المسلمة – والموجودة عمليا في المعركة وبرغم كل ظروف اليأس والتآمر فمازالت تملك حيوية مذهلة، فقامت من طرفها بالرد كالتالي:

- في ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ قام المجاهدون بنسف خط أنابيب المياه بين رأس العين والقدس.

- في ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧ الجماهير المسلمة تقاتل اليهود في القدس.

- ١٢ يناير ١٩٤٨ مجاهد عربي يدخل مركز البوليس البريطاني بسيارة ملغومة مما أدى إلى نسفه.

- ١ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف بناية (البالستاين بوست) اليهودية وبنايتان أخريان مجاورتان لها في شارع هاسوليل بالقدس وذلك بسيارة ملغومة.

- ٢٢ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف شارع بن يهوذا بثلاث سيارات كبيرة تحمل كلا منها طنا من المفرقعات.

- ١٢ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف حي المونيفوري بالقدس.

- ١١ مارس ١٩٤٨ يتم نسف مبنى الوكالة اليهودية.

- ٢٣ مارس ١٩٤٨ نسف باب الخليل.

القوى الصهيونية تتحرك لاستكمال احتلال المواقع والمدن الهامة والجماهير المسلمة المضروبة من الإرهاب الصهيوني وتواطؤ الاستعمار وخيانة الزعماء تقف وحدها بصلابة. ولنضرب عدة أمثلة:

معركة القسطل: - وللقسطل أهمية عسكرية كبيرة في الدفاع عن القدس وسوف نسرد تلك الحادثة كنموذج يدلل على صحة تحليلنا.

يذهب الشهيد عبد القادر الحسيني إلى اللجنة العسكرية العليا (برئاسة إسماعيل صفوت باشا) ويطلب أسلحة وذخائر للدفاع عن القسطل فيقول له الباشا شونو عبد

القادر. ماكو مدافع (ماكو تعني باللهجة العراقية لا يوجد).

ويقول لـه الشـرياتي وزيـر الـدفاع السـوري «إذا احتـل اليهـود القـدس فسـنأتي ونخرجهم منها أو نقتلهم فيها».

عندئذ تميز عبد القادر من الغيظ ورمى بالخريطة في وجـه الباشـا والـوزير وقـال بصوت سمعه الحاضرون «أنتم خائنون ومجرمون وسيسجل التاريخ أنكـم أضـعتم فلسطين – ستحتل القسطل وسأموت أنا وجميع إخواني المجاهدين».

وعاد عبد القادر إلى القسطل واستشـهد فيهـا في أبريـل عـام ١٩٤٨ بعـد معركـة خالدة استمرت ٦ أيام.

هل هذا يحتاج إلى تعليق؟!!..

معركة يافا:

ولقد دخلت جماهيرنا المعركة في جو غير متكافئ بشكل درامي تماما فلا أسـلحة ولا مؤن وتواطؤ إنجليزي. وسكوت عربي ومـع ذلـك تسـطر تلـك المدينـة البطلـة ملحمة رائعة من ملاحم البطولة ولنأخذ كلام بيجين نفسه وهو العدو الأكبر لنا دليلا على ذلك:

– بيجين يدرك أهمية يافا الاستراتيجية فهي مسدس محشـو بالرصـاص مصـوب إلى تل أبيب، وأن نجاحهم فيها يعني انتصارهم، وانهزامهم فيهـا هـو بمثابـة الهزيمـة الكاملة للصهيونية.

– أصبنا بخسائر فادحة والمقاومة مذهلة.

– رغم تتابع موجات هجومنا فإن عنق الزجاجة لم يخترق.

– غيرنا تكتيكنا مرارا دون جدوى.

– إما إخضاع يافا أو تحطيم تل أبيب.

– يا إلهي لقد علمتنا بطولة يافا أكثر مما تعلمناه خلال الحرب العالمية الثانية.

- سقط منا القتلى بالعشرات.

- لولا تدخل الإنجليز لكان الوضع مروعا.

* استمرت معركة يافا من أوائل ديسمبر ١٩٤٧ حتى ١٤ مايو ١٩٤٨.

* على لسان الشهيد حسن سلامة أن بعض المسلمين اليوغسلاف شاركوا في الدفاع عن يافا!!..

معركة حيفا:

وأيضا تدخل الجماهير المسلمة معركة حيفا منفردة..

- قام الإنجليز بتسليم اليهود معسكراتهم ومواقعهم.

- قام الإنجليز بمنع إقامة مراكز حصينة داخل المدينة.

- السلاح لا يصل إلى حيفا. فلم يصل سوى ٩٠ بندقية فقط من ٦٠٠ بندقية أرسلت إليها. هل سرق الباقي؟ (من تقرير طه باشا الهاشمي عن حالة السلاح في حيفا):

- الإنجليز يسحبون السريتين الأردنيتين رقم ٢، ٤ واللتان كانتا ترابطان في حي (النبي شعنان) وبيت كاليم مما كشف الحي الشرقي العربي.

- انسحاب الإنجليز المفاجئ من حيفا في ٢٣ أبريل ١٩٤٨.

ومع كل هذا خاضت الجماهير المسلمة معركة أسطورية في الدفاع عن المدينة. وخضبت أرضها بالدم الذكي. لولا أن قام الزعماء بمطالبة أهلها بإخلائها لتأتي الجيوش العربية لتحررها!!

وهكذا سقطت المدينة.

إعلان قيام إسرائيل:

وفي يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ يعلن بن جوريون قيام إسرائيل.

ملاحظة:

قام بن جوريون بإعلان الدولة يوم ١٤ مايو ولم ينتظر إلى يوم ١٥ مايو لأنه كان يوم سبت.

- وبريطانيا تعلن إنهاء انتدابها في ١٥ مايو ١٩٤٨.

حرب ١٩٤٨:

وهكذا تدخل الجيوش العربية حرب ١٩٤٨ والوضع كالآتي:

- تمهيد كامل من قبل بريطانيا لليهود. بمعنى إعطائهم كل المدافع بتنسيق كامل في المواقف - تسليم الأسلحة لليهود.

- جماهير مسلمة منهكة ولكنها قادرة على العمل ولا يقف معها أحد.

- إرهاب صهيوني لمحاولة كسر صمود الجماهير. مذابح دير ياسين كفر قاسم - قبية - غزة - خان يونس - السلط وغيرها مما يصعب حصره.

- عروش وأنظمة عربية تترنح تحت ضغط الجماهير في خارج الأرض المحتلة تطالبهم بالعمل لإنقاذ فلسطين.

الأنظمة العربية تدخل المعركة بالتكتيك التالي:

- أنظمة لا تملك تناقضا مع الكيان الصهيوني.

إلا تناقضا ثانويا يمكن حله عبر المفاوضات أو عبر المعارك التكتيكية الصغيرة لتحسين ظروف التفاوض والحلول الوسط ليس إلا:

- لابد من دخول المعركة وإلا أسقطتنا الجماهير وحتى تملك تلك الأنظمة ورقة توت تداري بها عوراتها.

- كل نظام يعمل لحسابه ولا تنسيق بين الجيوش العربية.

- وهكذا تدخل الجيوش العربية المعركة وفي نية قيادات الأنظمة عدم القتال فلم تعد له عدة. لا إعداد نفسي

أو تعبوي. المشاركة بقوات رمزية.. مجموعة الجيوش العربية لا تصل إلى قوة

العدو العددية.

- دخول المعركة للمزايدة والاستعراض. ثم الانسحاب ليس إلا. خطأ يصل إلى حد الخيانة.

- الأنظمة العربية تطالب الشعب الفلسطيني بإخلاء مدنه لكي تأتي هي لتحررها. بل إن عمليات الترحيل ذاتها يشارك فيها الفيلق العربي والقوات الأردنية.

- الجيش الأردني تحت قيادة جلوب باشا الإنجليزي.

- الجيش الأردني يدافع فقط ولا يهاجم بأوامر من جلوب قائد الجيش.

- الملك عبد الله بإيعاز من جلوب يرى الصلح مع اليهود برغم أنهم أقوياء.

وانظر كتاب حرب ١٩٤٨ (الصراع السياسي) العميد محمد فايز القصري - دار المعرفة.

- أصدر جلوب أمرا للجيش الأردني يوم ١٤ يوليه ١٩٤٨ بإيقاف جميع العمليات الهجومية والتزام موقف الدفاع مع عدم البدء بإطلاق الرصاص إلا إذا هوجموا.

- إدارة سياسية سيئة للمعارك تتمثل في قبول الهدنة عدة مرات مما يحسن وضع اليهود.

- خيانة كاملة من الملك عبد الله واتصالات باليهود.

ملاحظة:

مع كل هذا التيه فإن الجيوش العربية كأفراد هم جزء من الأمة قد صنعوا انتصارات باهرة وبطولات فذة أضاعها الساسة والتردد ومناورات جلوب وغيره وخيانة الملك عبد الله.

- معركة التبة ٨٦ مفخرة للجندي المصري المسلم.

- الصمود في الفالوجا.

- عمليات البطل الشهيد أحمد عبد العزيز الذي لقب بين رجاله باسم النمر

والذي أمكنه أن يشق طريقا حتى بيت لحم برغم بساطة معداته. وخيانات جلوب المتكررة.

وهكذا دخلت الجيوش العربية (القوات المصرية – القوات الأردنية – القوات السورية – القوات العراقية – القوات اللبنانية – القوات السورية).

وبرغم بطولة أفرادها إلا أن نية الأنظمة لم تكن القتال.

– قامت الأنظمة وتحت دعوى أن الجيوش العربية ستحرر فلسطين بتغييب الجماهير المسلمة وإخراجها من المعركة بدلا من أن تكون عونا لها.

– جيوش غير مدربة – خيانات الأنظمة – أسلحة فاسدة عدم تنسيق.

– أيديولوجية غير إسلامية.

في مواجهة:

– عدو مدرب (في الحرب العالمية الثانية) وغيرها.

– يملك أيديولوجية تاريخية وفهما وتمثلا أكبر للحضارة الغربية ولتكتيكها المتفوق علينا.

– جيش شعبي ومشاركة كاملة من رجال ونساء اليهود في المعركة. فكان لابد أن تحيق بنا الهزيمة والعار وضياع فلسطين.

ملاحظة هامة جدا:

لم تشذ أي معركة سواء ٥٦ أو ٦٧ عن ذلك إطلاقا فهي دخول استعراضي وانسحاب. عدم السماح للجيوش بممارسة المعارك إطلاقا.

ملاحظة أخرى:

إن أخطر الأخطاء هو عدم السماح للجماهير بأداء دورها بل منعها عنه بشتى الوسائل. وفي مواجهة حضارة متفوقة علينا تقنيا وفي مواجهة استعمار وتواطؤ، وفي مواجهة جيش عقائدي مسلح بأحدث الأسلحة التي أنتجتها مصانع الغرب

الاستعماري. فإن المواجهة لابد أن تكون.

حرب تحرير شعبية – أيديولوجية إسلامية. لأن الجماهير المسلمة لا تقهر. وهذه حكمة التاريخ وهذه ميزة نملكها فجيوشهم أقوى. ولكن جماهيرنا أكثر وأصلب وهذا حقهم ومصلحتهم وكيانهم مهدد. وعموما هل ترددت الجماهير يوما.

* ينبغي هنا أن ننوه بالبطولات الرائعة التي قدمتها جماهير المسلمين في خارج الأرض المحتلة وتدافعها إلى التطوع وقيام الأنظمة بمنعها كما ينبغي الإشارة إلى قيام حركة الإخوان المسلمين وخصوصا في كل من مصر وسوريا بالتطوع والقتال ونسف المواقع اليهودية في خارج وداخل الأرض المحتلة ولكن ضاعت كل هذه الجهود بسب الأنظمة العربية.

***

مرحلة ما بعد ١٩٤٨

كانت الأمة حبلى بالغضب والثورة. فكل الأقنعة قد سقطت – أفلست الرأسمالية العربية وحكم الرجعية وانحازت للكيان الصهيوني – الجماهير باتت تدرك خطها الصحيح وأعداءها. باتت الجماهير تدرك الارتباط بين الاستعمار – الصهيونية – الأنظمة العربية.

الجيوش العربية نفسها أحست بالمهانة. وعت تلك الجيوش بما أنها جزء من الأمة أن الأنظمة استعملتها لغير صالح أمتها.. جماهير المسلمين في فلسطين ذاتها استوعبت المحنة كاملة.

بدأ المد الجماهيري واسعا وقويا. فقد كانت النكبة هزة قوية أيقظت الوعي والتاريخ في وجدان الجماهير.

بدأ المد الجماهير يأخذ طريقه في كل مكان وكانت النتيجة المرتقبة هي قيام أنظمة جماهيرية إسلامية. ومواجهة صحيحة للغزوة الصهيونية الاستعمارية. ولنأخذ مصر كمثال.

- بعد ١٩٤٨ بدأ النظام الرجعي (نظام الملك فاروق) يترنح تحت ضربات الجماهير الواسعة. الجماهير تطالب بالحرية وبالعدالة الاجتماعية وبمقاومة الاستعمار والصهيونية. إضرابات يومية من العمال - تململ في الجيش - انتفاضات فلاحية ضد الإقطاع في الريف المصري. جاءوا بحزب الوفد للجم حركة الجماهير وتهدئتها. ولم ينجح الوفد في ذلك.

وفي كل مكان كان الوضع مثل مصر الجماهير في حالة مد مستمر.

وعلى الجانب الآخر. القوى الشيطانية تدرك خطر الجماهير. وتدرك أن إسرائيل في حاجة ماسة إلى فترة تستكمل فيها بناء مؤسساتها العسكرية والاقتصادية.

وتحركت القوى الشيطانية. وتمثل تكتيكها في:

- عزل الجماهير المسلمة بأي ثمن وإخراجها من الصراع.

- سحب تراكم الوعي لديها.

وهكذا فإن القوى الشيطانية بدأت تتحرك على عدة محاور:

- إقامة أنظمة بديلة للأنظمة التي لم تعد قادرة على لجم حركة الجماهير قبل فوات الأوان.

- أن ترفع هذه الأنظمة شعارات إصلاحية وتحقق إصلاحات محددة بشرط واحد هو أن تقوم بتسريح الجماهير. ونزع فتيل الوعي من وجدانها وتفريغ الشارع منها.

- عملية غسيل مخ مستمر للجماهير المسلمة وتزييف طبيعة الصراع بينها وبين الاستعمار والصهيونية.

- ضرب شامل لكل طلائع الحركة الإسلامية وتصفية كاملة لهم - والفكر الإسلامي يتم استئصاله.

ولقد تم ذلك عبر:

- قيام النظام الناصري في مصر الذي يصادر الحريات. ويسرح الجماهير ويضرب الإسلاميين. ويحقق إصلاحات شكلية في مقابل ذلك تسمح بتضليل الجماهير. ويصبح عبد الناصر الزعيم الوحيد. المحارب الوحيد المصلح الوحيد - عدو اليهود الوحيد.. إلخ. كما يقوم برفع شعارات اشتراكية لمزيد من التضليل وافتعال معارك تزيد من قيمته كزعيم بشرط عدم مشاركة الجماهير في شيء.

- قيام سلسلة من الانقلابات العسكرية في المنطقة. مثل سوريا مثلا مع رفع نفس الشعارات ونفس التكتيك الذي تم في مصر مثل تجربة البعث مثلا وكذلك في العراق.

- منع قيام نظام جماهيري في الأرض التي لم تحتل من فلسطين فيقوم ملك الأردن الخائن بضم الضفة الغربية ويقوم النظام المصري بضم غزة.

والهدف النهائي هو قيام حاجز بين الجماهير المسلمة وبين عدوها التاريخي إسرائيل وعدم إعطائها أي فرصة للاحتكاك والتماس مع الكيان الصهيوني.

احتواء أي تحرك إيجابي للشعب الفلسطيني في إقامة منظمات جماهيرية للتصدي للكيان الصهيوني بمعنى ألا تخرج تلك المنظمات عن معطف الأنظمة السابق بيان تركيبها وجوهرها وتوجهاتها.

وهكذا وبالأسلوب الشيطاني الماكر وعبر عدة تكتيكات بالغة التعقيد استطاعت القوى الشيطانية أن تمنع الانفجار الإيجابي في المنطقة وتسحب ما تراكم من وعي ومن غضب ومن إدراك لدى الجماهير بعد نكبة ١٩٤٨.

واستمرت المنطقة هكذا في سلسلة مستمرة من الانفجارات الصغيرة الموجهة من قبل القوى الشيطانية لامتصاص وتفريغ حركة الجماهير المسلمة من مضمونها.

***

حرب ١٩٥٦ .. اختلاف التكتيات الاستعمارية

بداية فإنني أقرر أن تقييمي للأحداث تقييما استراتيجيا يخرج من منظور أثق ثقة

مطلقة في صحته.. هو أن أي حركة أو حدث من أي قوة سياسية تقيم من خلال مدى ما أسهمت به من زيادة مشاركة الجماهير ووعيها.

أو مدى ما فعلته لتعطيل حركة الجماهير ووضع معوقات في سبيلها أو التآمر على وعيها وأن أي حدث مهما كانت نتائجه لن يخرج في النهاية عن هذا المنظور. وأن القيمة الحقيقة لأي تحرك هي في النهاية في مدى ما أسهم به في دفع حركة الجماهير إلى الأمام لأن الشيء الوحيد الغير قابل للهزيمة في هذه المنطقة هو الجماهير بما أننا نواجه استعمارا أكثر قدرة عسكرية وتنظيمية وعلمية ولأسباب كثيرة منها ما هو تاريخي وما هو عقائدي وفي النهاية فإن من يقف مع الجماهير فهو وطني.

ومن يفرغ حركة الجماهير ويعوقها تحت أي شعار فهو خائن. سواء أدرك ذلك أو لم يدركه. سواء قصد أو لم يقصد.

كما أنني أقرر ووفق المنظور السابق أنني لن أستدرج في فتح ملفات ووثائق مضادة. فكتابة التاريخ ليست مقصدي بقدر تحليل الأحداث التاريخية لمزيد من الوعي ورؤية المستقبل. وأن الغرق في الوثائق القابلة للتزوير طبعا فضلا عن أنه يخرجنا عن إطار منهجنا الجماهيري في فهم طبيعة الصراع فإنه تضييع للوقت وأنني أدع لغيري تلك المهمة.

كما أنني أضيف أن الكتابة بالطريقة السابقة. فخ استعماري لأن الاستعمار يجيد تزييف الوثائق بما يملك من أدوات علمية. وبما يخططه من أساليب الصراع الفكري التي يجيدها.

وعلى أي حال فإنه إذا تسلح الإنسان بالوعي الجدلي (جماهيري وإسلامي) فإنه يمكن أن يفتح الوثائق والملفات ويكون في مأمن من الانزلاق والانخداع والوقوع في الفخ الاستعماري ويمكنه أن يخرج بنتائج صحيحة وغاية في الأهمية ولكن ليست هذه مهمتي أو قدرتي على أي حال.

* أود أن أضيف أنه في تلك المنطقة كي تكون جماهيريا. فإنك تكون إسلاميا. وأن هناك ارتباطا عضويا لا ينفصم بين الإسلام والجماهير.

وهكذا فإن تحليلنا للأحداث سيتوقف على أثرها على حركة الجماهير.

وهكذا فإننا في تحليل حرب ٥٦ ينبغي أن ندرك.

١- أنه لا يهمني في قليل أو كثير كون نظام

عبد الناصر. محاولة انقلابية أمريكية كما يقول الكثيرون أم لا (انظر كتاب لعبة الأمم – مايلز كوبلاند) وأن ما حدث في ١٩٥٦ هو حماية الاستعمار الأمريكي لنظام عبد الناصر الأمريكاني من الاستعمار البريطاني. أو أنها حرب بين استعمارين ليس إلا.

٢- كما أنه لا يعنيني أن أقول إنها محاولة لإبراز النظام الناصري ليؤدي دوره في قمع حركة الجماهير. وأن أبحث في الأدلة التي تدمغ النظام بالخيانة المباشرة. فلسنا وكلاء نيابة بالطبع.

إن فهمي للحديث يأتي على النحو التالي:

قررت القوى الشيطانية (الاستعمار والصهيونية) أن الجماهير في المنطقة قد خدرت بما يكفي وأن ما اختزنته من غضب ووعي بعد نكبة ١٩٤٨ قد تبدد وأن الوضع في المنطقة يسمح بمزيد من التوسع لليهود. ويسمح بعودة الحكم الاستعماري المباشر لها.

وهكذا قام وزير الخارجية الأمريكي دالاس بسحب عرض بناء السد العالي مما دفع النظام الناصري إلى تأميم القناة. وعلى أثرها قام الاستعمار الإنجليزي والفرنسي واليهودي بالاعتداء الغاشم على مصر.

إلا أن الاستعمار فوجئ بما يلي:

١- أن الجماهير لم تفقد بعد فاعليتها وأنها عملاق لم ينم بعد وأنها سوف تستيقظ لتطيح بالاستعمار وبالنظام الناصري والاستبداد وستشكل خطرا كاسحا للمصالح الاستعمارية والصهيونية في المنطقة.

- فلقد اصطدم الغزو الاستعماري لبورسعيد مثلا بمقاومة شعبية صلبة جدا

بكافة الأشكال البسيطة والرائعة.

- قام فدائيون من قطاع غزة بأعمال فدائية استشهادية. مما هز إسرائيل هزا وشكل نواة لحرب تحرير شعبية.

- وجدت الجماهير في المنطقة فرصة لمواجهة أعدائها في كل مكان فقام العمال بنسف أنابيب البترول التي تغذي الحضارة الغربية. وبدا أن الجماهير ستزحف لتحرير الأرض.

٢- أن ما قام به النظام الناصري من تصفيات لجماعة الإخوان المسلمين في ١٩٥٤ ليس كافيا. فمازالت الجذوة الإسلامية تستعر تحت التراب.

ويمكن أن تخرج منها نار عملاقة تحرق كل القوى الاستعمارية في طريقها. فلقد طالب شباب الإخوان المسلمين الموجودين في السجن وقتها بالسماح لهم بالتوجه إلى مناطق القتال للمشاركة في حرب الشعب ضد الاستعمار. ولقد وقع على هذا الطلب معظم الإخوان في السجون ولقد قام بتقديم هذا الطلب مجموعة من شباب الإخوان لمأمور سجن ليمان طرة وكان يقود تلك الحملة الشهيد أحمد حامد قرقر ومجموعة معه.

نالت تلك المجموعة جزاءها فيما بعد، فيما عرف بمذبحة طرة في ١ - ٦ - ١٩٥٧ فقد تم عمل مذبحة تم فيها إطلاق الرصاص على تلك المجموعة بدون محاكمات

ولا شيء وقد استشهد في تلك المذبحة الشهيد أحمد حامد قرقر ومعه أكثر من ٢٠ من إخوانه وجرح حوالي ١٨٠ من جراء إطلاق الرصاص.

٣- أن الجيش المصري بما أنه جزء من الأمة قد أبلى بلاء حسنا ودفع رجاله الأبرار تضحيات باهظة وحققوا معجزات قتالية برغم أوامر القيادة بالانسحاب من سيناء وعدم السماح له بالدخول في المعركة مع اليهود. دائما يتم منع الجيش من أداء دوره في كل المعارك مع اليهود. ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧.

ومعنى التحام الجيش والشعب والجماهير خارج مصر في معركة مع الاستعمار أن مصالح الاستعمار والأنظمة في خطر – فلابد من احتواء ذلك كيف تم الاحتواء.

– أدركت القوى الاستعمارية أن هناك أمامها مزيدا من الوقت لكي يتم فيه القضاء على وعي الجماهير وإخراجهم من المعركة وأن المعركة قد بدأت قبل أوانها. وأن خطر الجماهير مازال عظيما فكان الآتي:

١ – تضغط أمريكا على إنجلترا وفرنسا وإسرائيل وتطالبهم بالانسحاب على هيئة قرار من الأمم المتحدة (متى كانت قرارات الأمم المتحدة تحترم).

«وهل احترمت تلك الدول يوما قرارا للأمم المتحدة في ١٩٤٨ وما بعدها وفي ٦٧ مثلا. بل إن أمريكا ذاتها كانت تدفعهم لعدم احترام القرارات فلماذا في هذه المرة يحترمونها وتضغط عليهم أمريكا!!

٢ – تنسحب تلك الدول. مع ضجة إعلامية ضخمة تلقي ظلالا وغيوما على أهمية حركة الجماهير. بحيث.

(أ) يعزى الانتصار إلى ذكاء القيادة السياسية.

(ب) يدفع الجماهير في الوقوع في خطأ قيمة الأمم المتحدة والرأي العام العالمي بحيث يمكن طرح تلك القوى السلمية كبديل للكفاح المسلح.

(ج) تجميل وجه أمريكا. وجعلها في نظر البعض تعمل لصالح الأمم والشعوب الصغيرة.

٣– يتم سحق كل حركة جماهيرية إسلامية في المنطقة. وبما أن النظام الناصري قد انتصر ولو بالكذب فإنه يمكنه الآن ممارسة قمعه بلا حدود.

١ – ولقد نجح ذلك التكتيك الاستعماري الشيطاني المعقد أيما نجاح فلقد قام عبد الناصر بطرح نفسه على الساحة كمنقذ وكبطل قومي لا يشق له غبار وأن الضمان الوحيد في مواجهة الاستعمار هو شخصية البطل وليس الجماهير وأن على الجماهير الآن أن تذهب لبيوتها وسيقوم عبد الناصر بكل المهمة. (ولقد قام الإعلام – عبد

الحليم حافظ – شادية إلخ بتكريس ذلك حتى لقد صوروا عبد الناصر كما لو كان سوبرمان يقول للشيء كن فيكون).

* أذكر في ذلك الإطار قيام الأساطير حول شخصية عبد الناصر والتي غذتها أجهزة الإعلام وانتشرت بين الشعب المصري وبخاصة الأطفال عن أن عبد الناصر يستطيع مثلا أن يعبر البحر ماشيا. أو أن يهدم جدارا مثلا بقبضته.. إلخ.

٢- قام النظام الناصري بضرب أسس الفكر الإسلامي ومحاولة استئصال كل أثر للإسلام في حياة الناس ومطاردة كل متدين حتى ولو كان غير سياسي حتى أن الناس كانت تخاف أن تذهب إلى الصلاة. وبالتالي فهو يفقد الجماهير درعها المتمثل في الإسلام تمهيدا لـ١٩٦٧.

* كما قام بالعديد من المذابح واعتقال وشنق أعضاء الجماعات الإسلامية كالشهيد سيد قطب مثلا واعتقال ٣٠ ألف في ليلة واحدة سنة ١٩٦٥.

٣- تزييف طبيعة الصراع وإزاحة المقولات الحقيقية من الساحة (إسلامية – حرب تحرير شعبية) وتكييف الصراع وفق مقولات خاطئة لا يفهمها الناس ولا يشاركون فيها «لاحظ أن عبد الناصر كان يخطب في الناس فينبهرون ولا يفهمون».

وهكذا طرح عبد الناصر القومية العربية – بدلا عن الإسلامية – والاشتراكية بدلا عن بناء مجتمع إسلامي لاطبقي. وهكذا فقد أفقد الجماهير والجيوش العربية حوافزها للقتال ودمر كل دروعها وأسقط كل وعيها. تمهيدا لحرب ١٩٦٧.

٤- خنق وضرب كل توجه جماهيري حقيقي نحو مواجهة إسرائيل عبر:

(أ) منع أي عمل فدائي موجه ضد إسرائيل من غزة.

(ب) مطاردة كل من يحاول تعرية وكشف حقيقة الصراع في المنطقة.

(جـ) تجهيل متعمد بطبيعة الكيان الصهيوني – وجعله شيئا غامضا تماما برغم أن معرفة العدو واجب إسلامي. فضلا عن أنه شيء بدهي. فكيف تواجه عدوا لا تعرفه.

٥- محاولة احتواء أي تحرك فلسطيني وجعل حركة المقاومة الفلسطينية من داخل معطف الأنظمة العربية.

وسوف تسرد بعض الوقائع الخاصة بهذا الموضوع سريعا. ونعد أن نقوم بدراسة حول تلك المسألة وحول تطور حركة المقاومة الفلسطينية.

- وبرغم كل ما سبق، وبما أن حيوية الأمة غير قابلة للموت أو الدمار فإنه كان لابد وبرغم كل اليأس والضباب من ظهور تيار يستمد من إسلاميته أصالة ويقاوم وهذا التيار لم يغب لحظة.

- حاول بعض المناضلين القدامى من أمثال محمد عزة دروزة مثلا تبينه الرئيس عبد الناصر وشكري القوتلي وغيرهم إلى أهمية وجود عمل فدائي يكون نواة حرب تحرير شعبية. ولكن دون جدوى (انظر مذكرات محمد عزة دروزة).

- محاولة الحاج أمين الحسيني إقامة كيان عسكري فدائي بالتفاهم مع الأنظمة المصرية والسورية والعراقية ولكن محاولاته ذهبت هباء لأن تلك الأنظمة لا تريد ذلك.

ملاحظة:

لسنا بصدد مناقشة خطأ الحاج أمين الحسيني أو محمد عزه دروزة في التوجه إلى الزعماء ولمحاولة إبراز العمل الفدائي. فالعمل الفدائي ينتزع ولا يطلب ولكننا نسرد هذا للتدليل على عدم رغبة الأنظمة في ذلك بل ضربها لأي عمل في هذا الاتجاه.

- قيام النظام الناصري والأنظمة الأخرى باستعمال أحمد الشقيري في محاولة لاحتواء حركة الجماهير الفلسطينية ورغبتها في العمل الفدائي. وقد قام السيد أحمد الشقيري بذلك خير قيام. فكان يكتفي بإلقاء بيانات ملتهبة من الإذاعة.

وهكذا فقد قامت تلك النظم وعبر أحمد الشقيري باحتواء حركة المد الجماهيري عن طريق التخدير بالبيانات الملتهبة، ولم تفعل شيئا في سبيل العمل الفدائي. بل إن العمل الفدائي الذي تم عبر فتح والعاصفة سنة ١٩٦٠ طالبوه بالانضمام للشقيري.

- بل إن تلك الأنظمة قامت بمحاولة خنق واحتواء حركة فتح والعاصفة حينما ظهرت إلى الوجود من رحم الأمة المسلمة وبشعارات إسلامية ومارست الخط الصحيح سنة ١٩٦٥.

ملاحظة:

بدأت حركة فتح بداية إسلامية وفدائية (الخط الصحيح لمواجهة الصهيونية) إلا أن الحركة وقعت في النهاية في المستنقع بعد عدة محاولات ومناورات شيطانية خطيرة ستكون محل دراستنا إن شاء الله تعالى. إلا أنها في سنة ١٩٦٥ كانت تمثل أملا على الخط الصحيح.

ملاحظة:

نورد هنا بعض الفقرات التي قالها أحمد الشقيري للأستاذ محمد عزة دروزة حينما زاره في منزله في ١٢ - ١٢ - ١٩٦٥ والواردة بكتاب الأستاذ محمد عزة دروزة ص ١٦٣ وذلك في معرض رده على اقتراح الأستاذ دروزة بضرورة العمل الفدائي.

«ثم حدثته في مآل الرسالة فأكد لي أن مسألة حركة تحرير فعلية هي الآن شغله الشاغل وهو مؤمن بها كل الإيمان. وأن كل همه أن يجد المكان المناسب. وأنها لا تلقى تشجيعا ولا ترحيبا في الأردن ولبنان والعراق وأن الرئيس جمال متردد فيها».

وحينما اقترحت عليه والكلام مازال للأستاذ دروزة - أن يتصل بمنظمة فتح وعاصفتها وأن يدعمها قال الشقيري. إن الرئيس عبد الناصر مرتاب في أن تكون جماعة فتح من الإخوان المسلمين!!

وفي لقاء آخر بتاريخ ١٥ - ١٢ - ١٩٦٦ سأل الأستاذ دروزة عن سبب جمود قطاع غزة وسيناء وعدم قيام أي حركة فدائية تحريرية فيهما وقلت إن الناس يتساءلون كثيرا عن ذلك، والمغرضون يغمزون مصر وزعيمها بسبب هذا الجمود. فقال إنه سيرد عليه بعد وقت ولم يرد!!

***

حرب ١٩٦٧..

ونأتي إلى عام ١٩٦٧ والوضع كالآتي:

- أنظمة تضرب الجماهير بلا هوادة. تضرب طلائع الحركة الإسلامية - تضرب الجذور العقائدية للأمة. تقدم شعارات مزيفة (قومية - اشتراكية - إلخ) تمنع أي محاولة لمعرفة العدو.

- واقع فلسطيني مرتبط بالأنظمة عبر أحمد الشقيري - منظمة التحرير الفلسطينية - كتائب مرتبطة بتلك الأنظمة ولا يسمح لها بالعمل. الاكتفاء بالبيانات الملتهبة عبر الإذاعات والتي يطلقها الشقيري كبديل عن العمل الحقيقي في محاولة لإجهاض أي جنين فدائي يكون نواة حرب تحرير شعبية.

- منظمة فتح خرجت بشعارات إسلامية. ومارست الكفاح المسلح. مطاردة مضطهدة. محاولات لاحتوائها. إلخ.

في مواجهة عدو منظم - ابن الحضارة الغربية يفهم روحها وعلمها مرتبط بعقيدته وتاريخه. مسلح بأحدث الأسلحة.

وتحدث المواجهة..

وللمرة الثالثة تسحب الجيوش من الميدان ولا يسمح لها بممارسة أي قتال حقيقي. مما يدفعني دفعا ووفق التحليل الاستراتيجي إلى أن أشم رائحة خيانة واضحة جدا من قبل عبد الناصر. إن يوميات حرب ٦٧ وما قبلها وما بعدها يدفعني إلى اتهامه بالخيانة المباشرة..

وتكتسح إسرائيل الجيش المصري في سيناء الذي ينسحب ولم يسمح له بممارسة الحرب وتمارس مذبحة بشعة على أبنائه الجنود والضباط الشرفاء أثناء فوضى الانسحاب.

وتحتل سيناء. والضفة الغربية وغزة - والجولان.

ولكن الأمة مازالت حية:

خرجت الجماهير المسلمة في ٩، ١٠ يونيو لتقول لا. سنحارب. لن تجعلنا هزيمة الأنظمة نفقد رؤيتنا الصحيحة. إن حرب التحرير الشعبية هي الحل. لقد غبنا طويلا ومنعونا من أداء دورنا ولكننا نعود اليوم. لقد كانت شعارات الجماهير يومها هنحارب – هنحارب. اليهود أعداء الله.

وتكتشف القوى الشيطانية أن الأمة تمتلك حيوية مذهلة. ويمكن أن تتحول تلك الحركة إلى مد جماهيري يكتسح كل شيء في طريقه. فلابد من توجيه تلك الجماهير إلى عكس الاتجاه.

وبحركة شيطانية تخرج الأفاعي من أوكار الاتحاد الاشتراكي. لتكرس الهزيمة وتصادر حركة الجماهير. وتدعي أنها تطالب بالصنم – وبدلا من أن تتحول حركة الجماهير إلى كشف أسباب الهزيمة وإسقاط الصنم وعودة الجماهير إلى الشارع السياسي. فإذا بتلك الأفاعي تطالب بمؤسسات الهزيمة وشخصياتها وما يلبث عبد الناصر أن يكمل حلقة التآمر فيقبل بالاستمرار على عهد القتال مع اليهود والتحرير لاحتواء الجماهير.

وبما أن ذلك مطلب الجماهير.

واعترف عبد الكريم فريد أحد أقطاب الناصرية ورئيس المكتب التنفيذي للاتحاد الاشتراكي بمحافظة الجيزة وذلك في محاكمات مراكز القوى ١٩٧١ بأن محاولة تغيير مسار حركة الجماهير في ٩، ١٠ يونيو تم بعد اجتماع في مقر الاتحاد الاشتراكي في الجيزة وبناء على أوامر من شمس بدران.

(انظر كتاب الأستاذ كمال خالد المحامي وأحد أعضاء هيئة الدفاع في تلك القضية).

أهمية حركة الجماهير في ٩، ١٠ يونيو.

تكمن أهمية حركة الجماهير المسلمة في ٩، ١٠ يونيو برغم أنها قد تم تغيير مضمونها واتجاهها في:

١ - أن الأمة لم تفقد بعد حيويتها وأنها مازالت تطرح الشعار الصحيح في مواجهة الاستعمار والصهيونية.

«أيديولوجية إسلامية - حرب تحرير شعبية. شعارات الجماهير: اليهود أعداء الله - هنحارب - هنحارب».

٢ - أن تلك الحركة وبما طرحته من رفض الاستسلام قد أخرت الحقبة الإسرائيلية وأخرت طبخة التسوية. فلم يعد النظام الناصري في تلك اللحظة قادرا على إتمام التسوية مما أدى وتحت ضغط الجماهير إلى ظهور مقررات قمة الخرطوم.

- لا صلح - لا اعتراف.

ما بعد ١٩٦٧:

- أفاقت الأمة وبدأت تستعيد وعيها وحركتها التي لم تنقطع يوما. بدأت الشعارات المزيفة والأصنام تتهادى. ولقد تمثلت حركة الأمة المسلمة في:

- قيام مظاهرات الطلبة والعمال ١٩٦٨. لاحظ الشعارات:

عبد الناصر يا دجال - اليهود على القنال.

عبد الناصر يا دجال - يا عميل الأمريكان.

لا إله إلا الله - اليهود أعداء الله.

- زيادة وعي الأمة بأهمية الأيديولوجية الإسلامية - الكفاح المسلح. مما أعطى لحركة المقاومة الفلسطينية دعما هائلا. باعتبار أن إفلاس كل المقولات والنظم ولم يعد هناك من طليعة للأمة سوى المقاومة بوجهها الإسلامي ويطرحها للكفاح المسلح.

ولقد انتزعت تلك الحركة بأعمالها العظيمة داخل الأرض المحتلة قبل ٦٧ وبعده وبإصرار رجالها على أنها ليست ردا على نكبة ٦٧ بل هي رد على الكيان الصهيوني كله. انتزعت دعم الأمة كلها. وجعلت الأنظمة ترتعب منها. على أساس أنها يمكن أن تكون نواة لعمل جماهيري واسع يطيح بالمصالح الاستعمارية

وبالأنظمة معاً.

ولقد تبدت أهمية المقاومة بعد معركة الكرامة في الأردن في أعقاب نكبة ١٩٦٧ والتي ظهر فيها بوضوح أن الإسلام والحرب الشعبية قادرة على هزيمة اليهود وإحداث خسائر ضخمة بهم كفيلة بإنهاء وجودهم في الأرض الإسلامية (٢١ مارس ١٩٦٨).

وقد كانت معركة الكرامة في الأردن فضلا عما أعادته من ثقة إلى الإنسان المسلم في المنطقة تمثل نقطة تحول خطيرة في المنطقة.

وهكذا فقد بدأت سلسلة طويلة من المؤامرات والأفخاخ لمحاولة إزاحة حركة المقاومة عن أيديولوجيتها الإسلامية. وعزلها عن الجماهير ولقد نجحت تلك المحاولات أخيرا. وهذا يستحق موضوع بحث مستقل.

- على أي حال بعد معركة الكرامة - وأحداث مظاهرات الطلبة والعمال في مصر بدأ التكتيك الشيطاني على النحو التالي.

- المزيد من عزل الجماهير تحت شعار لا صوت يعلو فوق صوت المعركة.

- إلهاء الجماهير بعملية محاكمات هزيلة لبعض قواد الجيش في ٦٧.

- إعطاء الضوء الأخضر للأنظمة في لبنان والأردن لتصفية المقاومة ولكن بشكل محدد. كالآتي:

- تصفية غير نهائية حتى لا يكون ذلك سببا في انفجار المنطقة وبروز عملاق إسلامي جماهيري. وهكذا بدأت عملية التصفية من الخارج على يد الجيش الماروني في لبنان - ونظام الملك الخائن حسين في الأردن. مع التمهيد لذلك.

- محاولة إجهاض انتشار فكرة أن المقاومة الفلسطينية يمكن أن تتحول إلى حرب تحرير شعبية انظر مقال محمد حسنين هيكل أحد أعمدة وكهنة النظام الناصري - رئيس تحرير الإعلام الناصري - الأهرام بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٦٨ وجاء فيه.

- دور المقاومة لن يكون حاسما في تصفية العدوان، إنما هو دور مساعد.

- إنها لا يمكن أن تتحول إلى حرب تحرير شعبية لأسباب كثيرة.

وبالطبع أسباب ملفقة وليس هنا مجال الرد عليها ونحن نسردها لنوضح تكتيك القوى الشيطانية في احتواء أي عمل على الخط الصحيح.

- إن التفاوض هو الأسلوب الوحيد الصحيح.

- التمهيد للمساومة وقبول مبادرة روجرز.

النظام الناصري يستجدي الرئيس الأمريكي:

وهكذا فبعد أن قام عبد الناصر بضرب الجماهير وضرب طلائع الحركة الإسلامية ومحاولة حصار فتح والعاصفة – والهزيمة الكاملة أمام إسرائيل وبدلا من أن يعيد الأمور إلى نصابها عبر:

- إعطاء الجماهير حقها الطبيعي في ممارسة دورها التاريخي.

- إيقاف ضرب الحركة الإسلامية. وإعادة احترام عقائد الأمة.

- دعم المقاومة الفلسطينية على طريق حرب تحرير شعبية.

بدلا من ذلك راح عبد الناصر يستجدي الرئيس جونسون ليعلن تكريس الهزيمة والاعتراف بإسرائيل وهكذا كانت مبادرة روجرز سنة ١٩٧٠ والتي يعترف فيها عبد الناصر بإسرائيل. ويؤمن بالحل السلمي على أساس قرار ٢٤٢.

ولكن الجماهير المسلمة ترفض مرة أخرى وتخرج في العواصم العربية لتعلن عبد الناصر يا جبان.. يا عميل الأمريكان..

ولم يعد في المنطقة محور تتمحور حوله حركة الجماهير المسلمة إلا المقاومة الفلسطينية فتقوم القوى الشيطانية بمحاولة تصفيتها على محورين:

١ - التسلل إلى داخل المقاومة. ومحاولة دفعها بعيدا عن إسلاميتها وبالتالي فقدانها أهم أسلحتها.

٢- ضرب متواصل على يد الأنظمة في لبنان والأردن. مذابح أيلول وما بعدها.

***

مرحلة حرب ٧٣ وما بعدها

أدركت القوى الشيطانية أن الجماهير مازالت تملك حيوية مذهلة وأن حلقات الحصار حول الجماهير لم تستكمل بعد. وأنه لابد من استكمال استئناس الجماهير. ولكي يتم ذلك قامت القوى الشيطانية بما يلي:

(أ) عمليات غسل مخ مستمر لعقول الجماهير باتجاه:

أن إسرائيل أمر واقع.

محاولة تخفيف حدة العداء لليهود. عبر مشايخ السلطة.

التركيز على التفوق العسكري الإسرائيلي.

التركيز على أن الهدف هو إزالة آثار العدوان.

(ب) والاتجاه الثاني يتمثل في «بما أن حركة الجماهير مازالت حية وقوية فلابد من دفع زعيم عربي لتحقيق نصر تكتيكي صغير يستطيع به تمرير التسوية.

ولقد استهدفت الإدارة الأمريكية من هذا النصر التكتيكي وتحريك القضية» إلى:

الضغط على إسرائيل لكي تقبل التسوية.

تخدير الجماهير. ورفع زعيم عربي يستطيع تمرير التسوية. (انظر مذكرات كيسنجر)

وانظر أيضا محاضر لقاءات وزراء الخارجية العرب بوزير الخارجية الأمريكي الذي طالبهم بتحريك القضية.

* ولكن حركة الجماهير المسلمة والتي لا يمكن أن تموت أبدا ظهرت في مدينة السويس على يد الأبطال من أعضاء جماعة الهداية الإسلامية ومسجد الشهداء الذي

أصبح مقرا لقيادة المقاومة الشعبية.

ولقد استطاعت تلك المقاومة أن تمنع اليهود من دخول المدينة وأن تدمر ٣٢ دبابة ومصفحة و٥ عربات وعشرات القتلى. ولم يقدر للقوات الإسرائيلية أن تدخل المدينة وتستقر فيها. أبدا..

- قام المجاهدون بعمل كمائن في مداخل المدينة وأحبطوا المخطط الصهيوني ودمروا العديد من العربات اليهودية المصفحة والدبابات.

- قام المجاهدون بالتصدي لليهود وحصارهم داخل مبنى قسم شرطة الأربعين بعد أن احتله اليهود. وتم تصفية اليهود تماما وانسحابهم من المدينة.

- نذكر في هذا الإطار قيام الشيخ عبد الله رضا واعظ السويس بالانضمام إلى المقاومة الشعبية في السويس ومشاركته فيها.

- ولقد استشهد في تلك المعركة العديد من الشهداء نذكر منهم:

الشهيد الأخ إبراهيم سليمان.

الشهيد الأخ إبراهيم محمد يوسف.

الشهيد الأخ أشرف عبد الدايم.

الشهيد الأخ أحمد أبو هاشم.

الشهيد الأخ فايز حافظ.

ملاحظة:

الشيخ حافظ سلامة عضو قديم بجماعة شباب محمد ﷺ. وله مواقف مشرفة منذ بداية وعيه في الأربعينيات فلقد شارك.

في العمل الفدائي ضد اليهود عام ١٩٤٤ في فلسطين. ولقد كان نصيبه السجن على يد النظام الملكي عام ١٩٤٤ في مصر مما أثار انتباهه تجاه ارتباط الاستعمار الإنجليزي. بالصهيونية - بالنظام الملكي.

شارك في حرب ١٩٤٨ في فلسطين. في كتائب جماعة شباب محمد ﷺ. والإخوان المسلمين.

شارك في قتال الإنجليز في القنال في بداية الخمسينيات ضمن كتائب شباب محمد ﷺ والإخوان المسلمين.

استمر في جهاده وبعد حل جماعة شباب محمد ﷺ. قام بتكوين جماعة الهداية الإسلامية واستمر في تأسيس المراكز الإسلامية – مركز مسجد النور بالعباسية ومسجد الفتح بميدان رمسيس.

في هذا الإطار بدأت حرب ١٩٧٣..

ولكن ما إن بدأ رجال القوات المسلحة الأبطال (وهم في النهاية جزء من الأمة) في تلقي الأمر بالقتال. حتى ظهرت إسلاميتهم ورفع شعار الله أكبر واستطاعوا بإمكانيات قليلة جدا. وبسلاح غير متكافئ بالمرة من أن ينزلوا ضربات موجعة وقاصمة بالعسكرية الإسرائيلية. واستطاعوا في ملحمة رائعة من عبور قناة السويس وتحرير ضفتها الشرقية.

وهرع كيسنجر إلى السادات يحذره. (لابد من تكبيل حركة رجال القوات المسلحة حتى لا تتحول الحرب إلى حرب تحرير – لقد اتفقنا على أنها حرب تحريك فقط).

ودخلت أمريكا المعركة عبر خط إمداد بالطائرات والدبابات لإسرائيل من الاحتياطي الاستراتيجي للقوات الأمريكية – معلنة أنها لن تسمح بتحقيق نصر شامل يمكن أن يكون نواة لحركة الجماهير في المنطقة كلها.

مما يطيح بالمصالح الاستعمارية كاملة.

وبدأ المخطط الشيطاني يعمل. كان لابد من اختراق قواتنا.

والدخول إلى الضفة الغربية والدخول إلى مدينة السويس وهذا يعني لف حبل حول رقبة الجيش الثالث. مما يعني:

تحقيق هدف الحرب في التحريك.

إظهار السادات بمظهر البطل الذي هزم إسرائيل ولكنه لم يستطع هزيمة أمريكا.

وأنه في سبيل إنقاذ الجيش الثالث سيقبل بالتسوية مما يعني الاعتراف بإسرائيل – تطبيع العلاقات. أي الدخول في الحقبة الإسرائيلية. وكان مخططا لكل هذا أن يتم في ٧٣.

الغريب هنا أنه لم يتم ضرب ما سمي وقتها بالثغرة. مما يدعو إلى العجب ولم يسمح لجماهير المنطقة بالقتال مع العدو تحت شعار أن القوات المسلحة تكفي.

ولكن شعب السويس البطل أفسد الخطة الأمريكية. وراح يقاتل في بسالة وشجاعة بقيادة البطل الشيخ حافظ سلامة مما جعل طبخة التسوية تتأخر كثيرا. ومما جعل النظام في مأزق وأصبح غير قادر على إتمام التسوية حيث إن:

١ – لا يستطيع النظام أن يدعي أن الدخول في التسوية يعني إنقاذ الجيش الثالث. فالجيش صامد وشعب السويس يلتحم معه ويمده بالماء والمؤونات الغذائية ويحمي السويس في ملحمة رائعة.

٢ – أن النظام بات يدرك أن الجماهير مازالت قوية وحية ونابضة وأنه مازال هناك مزيد من الوقت لتخديرها.

وهكذا فإن شعب السويس البطل قد غير معالم المنطقة بصورة فذة وحمى مدينته من السقوط. ولو سقطت المدينة لا سمح الله. لكان النظام استطاع أن يوقعنا في الحقبة الإسرائيلية سريعا وبشكل درامي.

* صحيح أن النظام بعد ذلك استطاع أن يوقع كامب ديفيد. ولكن قطاعات الجماهير الواسعة كانت في وضع سمح لها أن تقف بصلابة ضد كامب ديفيد وأن تطيح بالسادات ذاته في النهاية. مما لم يكن متوفرا بالقطع وقتها لو سقطت السويس.

وهكذا فإن الشيخ حافظ سلامة. قد هزم أمريكا. كيسنجر وإسرائيل والسادات. وأفسد الطبخة الأمريكية للتسوية.

كما أن الشيخ حافظ سلامة. قد دعم وأضاف إلى مسيرة الجماهير الصاعدة من عز الدين الدين القسام. وحتى حافظ سلامة.

***

مرحلة ما بعد ٧٣

كانت الأمة قد مرت بمراحل عديدة من التحذير والتكبيل. وكانت الفترة الناصرية هي أقساها وأعنفها. وبانتهاء الفترة السوداء في تاريخ المنطقة. كانت الأمة قد سئمت كل مقولات وشعارات تلك الفترة. وأصبحت تقف موقف العداء الواعي والغير واعي لشعارات تلك الفترة. وأصبحت تكره كل ما يمت إلى الناصرية بصلة.

وهكذا كان على القوى الشيطانية أن تعمل لتصعيد نجم جديد يرفع شعارات جديدة يحقق بها الالتفاف حوله. وفي نفس الوقت يحقق نصرا عسكريا يحقق مزيدا من ذلك الالتفاف ليتسنى له أداء دوره في تمرير الحقبة الإسرائيلية. وهكذا كان السادات. وهكذا كانت حرب ٧٣.

وبدأت القوى الشيطانية تعمل بسرعة على النحو التالي:

١- رفع شعارات الديمقراطية وسيادة القانون ليلتف الناس حول القيادة الجديدة الممثلة في السادات. ولكنها ديموقراطية غير حقيقية وسيادة قانون مزيفة وقد ظهر في الاعتقالات المتكررة وآخرها اعتقالات ٤ سبتمبر ١٩٨١.

٢- مهاجمة التجربة الناصرية. ولكن ليس في الاتجاه الصحيح ولا بالشكل الصحيح.

* أخطر أساليب الغزو الفكري التي يمارسها الاستعمار والصهيونية هي التحليل الخاطئ للظواهر التي يلعنها الشعب. لمزيد من الالتفاف حوله لأنه لو حللنا تجربة ما بشكل خطأ. فلن نستطيع تصحيحها ولكننا سنأتي بتجربة أسوأ منها. وهذا ما حدث بالضبط.

فلقد تم مهاجمة التجربة الناصرية. ليس باعتبارها أحد الأساليب الفاشية

والديماجوجية لاستلاب وعي الأمة وتغريبها عن دينها. «الضمان الوحيد للتصدي» ولكن باتجاه مزيد من العلمانية ومزيد من الاغتراب. ومزيدا من قمع حركة الجماهير.

* إن عملية التحليل الخاطئ لأي ظاهرة هي في النهاية. إحدى أدوات القوى الشيطانية في إبعاد التحليل الصحيح لتلك الظاهرة.

وهذا موضوع بحث مستقل إن شاء الله.

* نود أن نشير هنا إلى أن تلك المسألة قد مارسها هيكل مرارا وتكرارا وآخرها كتاب خريف الغضب. الذي يعزو فيه فشل سياسات السادات ورفض الجماهير لها باعتبارها ترجع إلى عقد السادات الشخصية وليست لطبيعة النظام ذاته. وطبيعة المرحلة وطبيعة الصراع. وطبيعة حركة الجماهير المسلمة.

٣- السماح بشكل ما من أشكال المعارضة المستأنسة ولكن بشرط ألا تكون إسلامية. وألا تكون جماهيرية. وفي هذا الإطار فقد تم تشييع جنازة الاتحاد الاشتراكي المرفوض من الجماهير حتى النخاع ولكن ليس باتجاه إقامة مجتمع إسلامي. يدفع الجماهير لمواجهة الاستعمار والصهيونية ولكن باتجاه إقامة معارضة علمانية شكلية. «المنابر ثم الأحزاب».

٤- محاولة تغيير قيم المجتمع ليصبح مجتمعا ماديا. فالمادة والثراء هما المعيار الوحيد الصحيح. وليس الكرامة والعمل في سبيل الله ثم الأمة.

وأصبح من الطبيعي أن يدفع النظام عبر أجهزة الإعلام «أفلام. مسلسلات. مقالات. تحقيقات صحفية. كتب.. إلخ» أن يدفع الأمة في اتجاه التكالب على الربح والثراء. بأي ثمن.

٥- إغراق الأسواق بالسلع الترفيهية.

٦- إعلان سياسة الانفتاح الاقتصادي - وهو شكل ملائم جدا للحقبة «الإسرائيلية - الأمريكية» ليسهل للاحتكارات الصهيونية والأمريكية امتصاص قوتنا.

٧- رفع شأن المخنثين وعديمي الرجولة. واعتبارهم نجوما لامعة وأبطالا قوميين. ومثلا يحتذى به. من الراقصات. والممثلين الساقطين العرب والأجانب، بل واستقبالهم في ضيافة السادات.

٨- إغراق الأسواق بالكتب الجنسية والأشرطة المنافية للآداب.

٩- وهكذا أصبح المجتمع. مجتمع الساقطين - انفتاح. سمسرة. عمولات. استيراد وتصدير. تجارة عملة. إلخ.

١٠- محاولة ربط مسألة الرخاء. بمسألة الصلح مع إسرائيل. وأنها والحروب وغيرها من المقولات التي سادت تلك الفترة. بل إننا نجد كثيرا من الكتاب يطالب بإنهاء الحروب والتصالح مع إسرائيل.

١١- دفع مصر باتجاه إحياء الوطنية المصرية كبديل للقومية العربية وليس دفع الانتماء العربي إلى انتماء أوسع «الانتماء الإسلامي».

١٢- استبدال القطاع العام بالقطاع الانفتاحي غير المنتج وتصفية كل إنتاج محلي باتجاه إقامة طبقة طفيلية تتميز بالبلطجة السياسية والرغبة في الربح السريع.

على أن تكون تلك الطبقة الطفيلية وكيلة للاحتكارات العالمية المرتبطة بالاستعمار والصهيونية. بل وإلغاء المقاطعة للسلع الإسرائيلية، وهكذا أصبح المجتمع ملائما للحقبة الإسرائيلية.

وهكذا تحرك السادات باتجاه. مفاوضات الكيلو ١٠١.

فعن الاشتباك الأول والثاني.

فتح قناة السويس.

وأخيرا زيارة السادات الدراماتيكية للقدس. مع التركيز على أن الصراع بيننا وبين الكيان الصهيوني هو من الأساس صراع نفسي وليس صراعا حضاريا عقائديا تاريخيا. يمتد في التاريخ والجغرافيا إلى أبعد الحدود.

التبشير بمقولة أن ٩٩٪ من أوراق اللعب هي بيد أمريكا. وليست بأيدي الأمة المسلمة والجماهير المؤمنة الملتزمة بالإيمان بالله وبالأيديولوجية الإسلامية. وحرب التحرير الشعبية الإسلامية مع التركيز على إفقاد الأمة ثقتها بنفسها وفي قدرتها على المواجهة.

وأخيرا توقيع كامب ديفيد مع تغطية إعلامية واسعة ومضللة وكامب ديفيد تعني:

(أ) الاعتراف بإسرائيل.

(ب) الانسحاب من سيناء على أن تكون خالية من السلاح «منزوعة السلاح».

(جـ) انتهاء حالة الحرب.

(د) تطبيع العلاقات «سفراء. وتبادل اقتصادي.. إلخ)

(هـ) شكل ما من أشكال حل القضية الفلسطينية مبهم وغير واضح ولكنه في كل حال يسقط كل شكل من أشكال رفض إسرائيل جذريا.

وهكذا وبتوقيع كامب ديفيد تبدأ الحقبة الإسرائيلية التي تتميز بـ:

١- مجتمع الرأسمالية الطفيلية.

٢- إغراق الأسواق بالبضائع الإسرائيلية.

دفع المجتمع نحو التفسخ الأخلاقي – أفلام جنسية وأشرطة فيديو بل وحتى تغيير قانون الأحوال الشخصية باتجاه تفسح الأسرة – وإقامة امرأة ورجل مطلقان في بيت واحد.. إلخ.

أي في النهاية تصعيب الزواج – قانون مشبوه من أوله إلى آخره يدفع المجتمع للانحراف – تحكم النساء في الرجال.. إلخ.

دفع الشباب للهجرة واعتبار معيار النجاح هو الحصول على عقد عمل بالخارج. وليس بناء مجتمع متماسك. فأصبح قمة النجاح هو الحصول على عقد عمل خارج مصر.

أي أن المنحنى قد وصل إلى نهايته.

ولكن هيهات..

حركة الجماهير المسلمة:

ولكن حركة الجماهير المسلمة لم ولن تتوقف لأن هذه طبيعتها وهذه سنة الله سبحانه. فالإسلام والحركة الإسلامية نبت يرعاه الله تعالى.

ولقد تمثلت حركة الجماهير المسلمة في:

- ظهور تيار إسلامي قوي بين الشباب وخاصة في الجامعات برغم كل حلقات الحصار. وظهور اللحية كتحد للاستغراب لدى الشباب، والزي الإسلامي للفتيات. وانتشار ذلك انتشارا واسعا.

- معارضة قوية جدا داخل المساجد لمسألة الصلح وتطبيع العلاقات مع إسرائيل وخاصة في مسجد الشيخ أحمد المحلاوي الذي قاد المعارضة الإسلامية وغير الإسلامية لكامب ديفيد.

وكذلك الشيخ كشك - والشيخ حافظ سلامة في السويس والشيخ صلاح أبو إسماعيل وعبد الرشيد صقر بمسجد صلاح الدين. وتقريبا كل مساجد مصر.

- معارضة الصحف الإسلامية «الدعوة والاعتصام والمختار الإسلامي» لكامب ديفيد وتطبيع العلاقات مع إسرائيل وكذلك تنظيم حملة مقاطعة واسعة للبضائع الإسرائيلية وكل ما هو إسرائيلي.

والتركيز على ربط رفض كامب ديفيد. برفض إسرائيل جذريا وكذلك الاستعمار الأمريكي.

- انتفاضات الجماهير المستمرة في ١٨، ١٩ يناير وغيرها كثيرا، وفي المصانع والجامعات. ومظاهرات الجامعات المصرية.

ونقابة المحامين وغيرها من النقابات تحت قيادة الإسلاميين.

* وكان من الطبيعي أن تطلب إسرائيل ضرب الحركة الإسلامية لأنها المعوق الرئيسي أمام التطبيع فيتم اعتقال الشيخ أحمد المحلاوي، ثم ما تلا ذلك من أحداث درامية واعتقالات في ٤ سبتمبر على أثر افتعال أحداث الزاوية الحمراء على يد النبوي إسماعيل وزير داخلية السادات.

مما أدى في النهاية إلى تصفية السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١ في العرض العسكري على يد منظمة الجهاد الإسلامي. وهكذا تسقط الحقبة الإسرائيلية وكامب ديفيد عمليا. وتدخل المنطقة في مرحلة جديدة.

***

حرب الصيف الثاني والثمانين

انطلاقا مما تقدم وبمعرفة معطيات الواقع التاريخي في مرحلة حرب ٨٢ وما قبلها بقليل، نستطيع أن نفهم أهداف حرب ٨٢ من قبل العدو الصهيوني.

ولن يكون غريبا علينا في هذا الإطار أن نفهم لماذا كانت معظم الأنظمة العربية تدعم وبشكل مباشر، بل وتحفظ الكيان الصهيوني نحو تصفية تناقضها مع المقاومة سريعا؟!

وهكذا فإن عام ٨٢ بدأ وكانت القوى قد أفرزت على النحو التالي:

١- الكيان الصهيوني رأس الحربة الاستعمارية مدعوما من الحضارة الغربية ممثلة في أمريكا وأوروبا (الرأسمالية والشيوعية).

٢- الأنظمة العربية وقد أصبحت بشكل أو بآخر في معسكر واحد مع الكيان الصهيوني.

٣- المقاومة الفلسطينية (قيادات المنظمة) ذات الطبيعة والظروف الخاصة.

٤- القوى الصليبية المحلية ذات الطبيعة الخاصة أيضا ولننظر الآن في دور كل قوة من هذه القوى:

* الأنظمة العربية: تغري الكيان الصهيوني بحل التناقض مع تيارات المقاومة

عن طريق الحل العسكري مقدمة كل عون وخاصة من البترول لإدارة آلة الحرب الإسرائيلية سواء بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة وتقدم عونا ماديا للكتائب اللبنانية مع محاولة استدراج المقاومة لمستنقع الخيانة بكل الطرق.

وضع حاجز كثيف يمنع وصول الدعم الجماهيري إلى المقاومة داخل لبنان.

الاستعداد لمساعدة إسرائيل عن طريق المفاوضات التي تعوق الجماهير المقاتلة وتخدرها وأخيرا بيانات الشجب والاستنكار المثيرة للضحك.

* القوى الصليبية المحلية: سعد حداد. الكتائب. إلياس سركيس. فؤاد بطرس.. إلخ.

هذه القوى تملك وضعا خاصا يتمثل في أنها تعرف انتماءها بأنه لا عربي ولا إسلامي بالطبع بل معادية للجماهير بشكل مباشر وتسعى لإقامة كيان متميز داخل لبنان يستند على الكيان الصهيوني داخل فلسطين. وهذا الكيان يختلق مبررات تاريخية وعربية خاصة به جعلها تقف في كل مراحل تاريخ الصراع في المعسكر المعادي للجماهير المسلمة هذا رغم عدم جدية مبررات القوى الصليبية المحلية التي لم تجد يوما اضطهادا من قبل القوى الإسلامية على طول التاريخ وعرضه.

ولقد قامت تلك القوى الصليبية باستمرار بضرب الجماهير المسلمة بلا هوادة وبشكل يدعو للاستفزاز وضرب رجال المقاومة المسلمة الفلسطينية مما أدى إلى تفجير الصراع في لبنان من أوائل السبعينيات وحتى الآن.

كما قامت القوى الصليبية بمساعدة آلة الحرب العسكرية في اقتحام كثير من المواقع مثل معركة كلية العلوم وبقيام الموارنة بالعمل كأدلاء ومرشدين لقوات العدو المعتدية.

ولا يخفى علينا الدور الكبير الذي قام به الصليبيون في إقناع قادة العدو باستئصال المقاومة نهائيا من لبنان وخاصة بيروت.

***

قيادة المقاومة الفلسطينية:

يمكننا أن نفهم الطبيعة الخاطئة التي تملكها المقاومة الفلسطينية كقيادة فيما لو رجعنا لما سبق أن ذكرناه عن طبيعة المنظمة والشروط التي تعمل فيها والتي نلخصها مرة أخرى نظرا لأهميتها.

تمتلك المنظمة هامشا من التناقض مع الكيان الصهيوني وهو المستهدف من حرب ٨٢.

طبيعة تركيب المنظمة وأيديولوجيتها في مواجهة الغزوة الصهيونية بمعنى أن المنظمة في النهاية تركيب علماني (قومي – وطني – اشتراكي.. إلخ) وبالتالي فإنها لا تملك الرؤية الصحيحة لطبيعة الصراع كما أنها لا تملك حتى النهاية، القدرة على التصدي للهجمة الغربية باعتبارها تحمل مقولاتها في النضال، فكيف تتحدى مثلها الأعلى؟

المنظمة خاضعة لشرط وجودها داخل لبنان بما يمثله الاستفزاز الصليبي من تكثيف وإلقاء الضوء على حقيقة الطبيعة الإسلامية للصراع وبالتالي وعي جماهير المسلمين في لبنان لذلك البعد وهذا يقلل قدرة المقاومة على المناورة بفضل تلك الجماهير.

* الجماهير المسلمة: كوادر المقاومة الفلسطينية المسلمة والمنظمات الإسلامية.

الجماهير المسلمة في تلك اللحظة أدركت شروط عملها وأبعاده وهي وحدها التي تملك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني باعتبار أن الصراع في النهاية صراع حضاري لا يستهدف قطعة أرض بل يستهدف كيانها ووجودها ذاته أدركت تلك الجماهير المسلمة أن صراعها مع الكيان الصهيوني يمتد في الزمان والمكان في الزمان عبر الغزو الاستعماري أو حلقات الغزو الصليبي وعبر خيبر في المدينة المنورة.

وفي المكان عبر العالم بأسره وليس العالم الإسلامي فحسب، أدركت تلك

الجماهير أن الأنظمة العربية قد أصبحت في معسكر أعدائها بعد أن أصبحت مصالحها ترتبط بمصالح الصهيونية الغربية ضد الجماهير ذاتها لقد قال أحد المقاتلين: إن القنابل التي أسقطتها علينا الطائرات كانت بفضل البترول العربي الذي سير هذه الطائرات كما أدركت تلك الجماهير الطبيعة الخاصة لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية أي أنها لن تخرج من أن تكون خاضعة لشروط تناقضها مع إسرائيل أي أنها ستقف مع الجماهير ولكن بحدود فإنها ستخضع في النهاية لطبيعتها التفاوضية وهكذا فإن الجماهير أدركت بوعيها أن عليها أن تدفع قيادات المنظمة لأخذ قرار الصمود وأيضا أدركت الجماهير المسلمة أنها تعمل تحت شروط خاصة وأفضل بمعنى أنها في مواجهة الغزوة الصهيونية وجها لوجه لا يحول بينها قوة قمع كما حدث في المرات السابقة – القسام – حافظ سلامة – معركة الكرامة (تحت مظلة النظام الأردني)... إلخ.

وذلك بسبب طبيعة السلطة في لبنان وظروف منظمة التحرير وهكذا فإن العوائق لن تكون كبيرة في هذه المرة لمواجهة الكيان الصهيوني وجها لوجه.

هذا ولم تغفل تلك الجماهير المسلمة عن بعض العوامل التي تزيد مهمتها صعوبة بمعنى وجود طابور خامس داخل لبنان يعمل لصالح إسرائيل وبمعنى أنها تقف وحدها وبمعنى أنها تواجه أقوى الجيوش في المنطقة وبمعنى عدم تكافؤ تسليحها مع تسليح الكيان الصهيوني... إلخ.

وهكذا بدأت الحرب:

بدأت حرب ٨٢ بما سمي وقتها بعملية سلام الجليل ولقد رسمت القيادة العسكرية الصهيونية خطتها على أنها مجرد عملية محدودة يتم فيها حل التناقض مع المقاومة بمعنى ضربها ضربات تكتيكية تخرجها من لبنان وتقربها من شروط التسوية ولكن يبدو أن مخططي السياسة الإسرائيلية أغفلوا في هذه المرة شروط عمل الجماهير المسلمة الشجاعة بل والإيجابية وهكذا لم تكن العملية المحدودة قادرة على تحقيق ذلك.

وهكذا سارعت قيادة العدو إلى تطوير العملية مستخرجة كل قواها النظامية ونصف الاحتياطي ١٣٥ ألف جندي ومستعملة الكتائب وسعد حداد وبقية القوى الصليبية.

إن نظرة لتلك الحرب تعطينا المؤشرات التالية:

١ - لقد جند العدو الصهيوني آلة حربه الاستعمارية مسلحة بأحدث السلاح الغربي مكتسبة خبرة أربعة حروب سابقة ضد جبهة واحدة منفردة هي الجبهة الإسلامية المكونة من رجال المقاومة الفلسطينية وجماهير المسلمين المستضعفين.

وبالطبع ليس هناك وجه للمقارنة بين تسليح هذه القوة وتلك ووقفت الجماهير المسلمة تقاتل من موقع إلى موقع رغم ظروفها الصعبة معتمدة على عون الله ومدده ومستعملة إيمانها العميق الذي يضرب في جذور التاريخ ومستلهمة مواقف خالد والحسين والقسام وحافظ سلامة ورجال معركة الكرامة ولقد استطاعت تلك الجماهير أن تنزل بآلة الحرب الصهيونية خسارة موجعة اعترف بها الجنرال إيتان رئيس أركان حرب العدو في تقرير نشر في مجلة الجيش الرسمية (سبعة وعشرون ألفا وخمسمائة وستون إصابة بين قتيل وجريح ومفقود وهو أعلى رقم تكبدته دولة العدو في تاريخها على الإطلاق ويفوق ضعف خسائرها في الحروب السابقة).

* لقد صمد المقاتلون البواسل داخل مدينة بيروت الغربية برغم حصار الجوع والعطش وبرغم أكثر من نصف مليون صاروخ تثبت أن بيروت الغربية هي أول مدينة في التاريخ العسكري ظلت تقصف من البر والبحر والجو في وقت واحد بالإضافة إلى حصار الجوع والعطش ومع ذلك لم تتقدم القوات الإسرائيلية بل ظلت مغروسة في الوحل على حدودها تنزف الدم وتهلل لتقدمها مترا أو مترين على هذا المحور أو ذاك لتعود بعد ساعات مقهورة.

وقد قدر الخبراء العسكريون الإسرائيليون ثمن اقتحام بيروت بخمسين ألف إصابة.

وهكذا كانت الجماهير المسلمة على وشك تحقيق نصر استراتيجي واسع

النطاق كان كفيلا بإسقاط الحقبة الإسرائيلية بكاملها وبما فيها الأنظمة العربية العميلة.

وهنا لجأت المؤسسة الإسرائيلية إلى الاستنجاد بحلفائها لتحقيق ما لم تستطع تحقيقه المؤسسة العسكرية الصهيونية ولتتكرر نفس مأساة ١٩٤٨.

إن المد الجماهيري ضد الأنظمة العربية بدأ يتسع إبان حصار بيروت، وإن استمرار صمود الجماهير المسلمة في بيروت يعني خطرا حقيقيا على تلك الأنظمة بما تشكله تلك الجماهير المسلمة الصامدة من إلهام للجماهير خارج لبنان، ولما تلقيه من أضواء على طبيعة الصراع وصحة الطرح الإسلامي في اعتبار أن حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى هي الحل الصحيح لحسم الصراع التاريخي، وبما تقدمه من نموذج فدائي استشهادي، وكشف القوى المزيفة الرجعية العربية والاشتراكية على السواء وهكذا.. كان لابد من تطويق سريع لحركة الجماهير المسلمة وسرقة انتصارها وتفريغ مضمونه سريعا قبل أن يشكل قواه لتفجير المنطقة.

وتبدأ تحركات القوى الشيطانية على عدة مستويات:

- كسر إرادة الصمود لدى المقاتلين المسلمين في بيروت عبر استدراج قيادة المقاومة لأخذ مواقف تهاونية. وقد تم ذلك كالآتي:

تقوم حكومة لبنان «إلياس سركيس» و«فؤاد بطرس» التي لا تمثل الشعب اللبناني المسلم الصامد في بيروت – بالضغط النفسي على قادة المقاومة والمقاتلين للاستجابة بحكم طبيعة تكوينهم وأيديولوجيتهم، بدعوى إنقاذ بيروت من الخراب!

تقوم الأنظمة الرجعية العربية بالتلويح لقيادة المقاومة (المهزومة قبل أن تدخل المعركة) بإمكانية الخروج من بيروت سالمين وبإمكانية التسوية وبإعطائها وعدا بالضغط على أمريكا لتسمح بقيام دولة فلسطينية على جزء من الأرض.

تقوم أمريكا بإرسال مبعوثها (فيليب حبيب) لطبخ التسوية، ولتحقيق فتح بيروت

على إسرائيل دون قتال، ومنع جماهير المسلمين من تحقيق انتصارها الفذ.

ولاشك أن قيادة المنظمة قد استجابت لها، نظرا لما ذكرناه من قبل أن طبيعتها غير الإسلامية (العلمانية)، ولافتقادها الرؤية الحضارية للصراع فإنها سريعا ما تبيع دم المقاتل وتتفاوض (التفاوض سمة أساسية من سمات تلك القوى غير الإسلامية).

وهكذا تم استدراج ياسر عرفات (لاحظ المنزلق) وهو استقبال مبعوث البرلمان الأمريكي (ماكلوبسكي) وإصدار الوثيقة المشهورة أثناء الحصار ضمنها اعتراف المنظمة بجميع القرارات الصادرة من الأمم المتحدة في شأن الفلسطينيين مما يترجم في النهاية اعترافه بالعدو.

ولقد كانت تلك الوثيقة أخطر من قنابل الطائرات والبحرية وكل آلة الحرب الإسرائيلية التي لم تستطع إسقاط إرادة القتال والصمود لدى الجماهير المسلمة للشعبين الفلسطيني واللبناني. ومن مارس الحرب يعرف أهمية إرادة الصمود في تحقيق النصر. إن تلك الوثيقة قد شرخت إرادة الصمود لدى المقاتلين ولكي ندرك ذلك لابد أن نعرف أسباب صمود الجماهير المسلمة للشعبين الفلسطيني واللبناني.

إن صمود تلك الجماهير المسلمة ينبع أساسا من وعي تلك الجماهير لطبيعة الصراع الإفنائي بينها باعتبارها تمثل في تلك اللحظة طليعة الأمة الإسلامية وفلذة كبدها وبين رأس الحربة الغربية الممثلة في إسرائيل لإفناء الكيان الحضاري لتلك الأمة.

ينبع صمود تلك الجماهير من ذلك الامتداد العميق في التاريخ باتجاه بدر وغار حراء في مواجهة خيبر وبني قينقاع.

ينبع من إدراكها أن تلك المواجهة تمثل صراع القوى الإسلامية في مواجهة القوى الشيطانية وبالتالي فهي تمثل محمدا ﷺ في مواجهة الشيطان، وتمثل الحسين في مواجهة يزيد، وتمثل خالدا في مواجهة هرقل.

فإذا بالمناضل «ياسر عرفات» يسحب ذلك البعد التاريخي والاستراتيجي الفذ

والممتد لغايات بعيدة يسحبه ويستبدله ببعد صغير حقير مجرد من أي زمن تاريخي

أو أيديولوجي مستندا على مجرد الظفر بقطعة أرض كما حددت تلك القرارات الدولية – وهكذا فإن الحافز على الاستمرار في القتال قد سقط مادام الأمر يتلخص في قطعة أرض ستوفرها في النهاية مفاوضات الغرف المكيفة!!..

وهكذا فإن تلك الوثيقة كانت شرخا هائلا في صمود الجماهير المسلمة للشعبين اللبناني والفلسطيني داخل بيروت.

وهكذا فبعد أن تم تحقيق ذلك الشرخ فلا مانع من مرحلة تالية من مراحل التفاوض وليبدأ «حبيب» استكمال تحقيق النصر للهجمة الغربية وليدخل «فيليب حبيب» بيروت مشفوعا بتأييد البعض ليحقق ما لم تستطع آلة الحرب الإسرائيلية تحقيقه.

وهكذا يقوم «فيليب حبيب» بطبخ مؤامرة تسوية لإخراج المقاتلين من بيروت وبذلك يحقق «فيليب» والمغرر به «عرفات» أهداف المتآمرين ولنقترب من التكريس النهائي للحقبة الإسرائيلية بمعنى:

– أنه بتصفية التناقض بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل عبر إخراجها من بيروت وتشتيت قواتها وإفقاد الجماهير المسلمة لحليف قوي لم تعد إسرائيل تواجه سوى الجماهير المسلمة – المستعصية على الضرب والإفناء – (وفي الحقيقة فإن إسرائيل على طول تاريخها لم تواجه تحديا حقيقيا إلا من تلك الجماهير في طول تاريخ الصراع):

– إن خروج المقاومة من لبنان يعني سحب نواة جيدة كان يمكنها أن تتحول إلى قوة جماهيرية هائلة لإزاحة الحقبة الإسرائيلية بكاملها ولتشكل جدارا صلبا يمكن أن يسقط التسوية في النهاية برغم أنف قيادات المنظمة نظرا للظروف الخاصة في لبنان..

وهكذا فإن آخر معاقل الجماهير قد سقط، يلاحظ في هذا الإطار ضرب الملك حسين للجماهير المسلمة في معارك أيلول الأسود وإخراجها من الأردن.. قيام

النظام السوري بضرب العناصر الإسلامية بلا هوادة وكذلك كل الأنظمة العربية.

- لم يبق للجماهير قاعدة تتحرك عليها وبالتالي فإنه يمكن تمرير التسوية.

ملاحظة:

١- سيتم المحافظة وفقا للخطة الأمريكية على قيادات المنظمة تمهيدا لإعطائهم قطعة أرض ليقوم عليها وطن فلسطيني يشكل حائلا جديدا ضد الجماهير في مواجهة الغزو الاستعماري الحضاري الصهيوني.

٢- ستحاول إسرائيل إقامة كيان ماروني ورئاسة مارونية على رأس لبنان ليقوم بمهمة ضرب معاقل الجماهير المتبقية «بشير الجميل» وعمليات جمع السلاح.. إلخ.

- ستحاول إسرائيل ضرب التوجهات الجنينية داخل رحم الأمة لمنع تطور تلك الجماهير المسلمة نحو تنظيم نفسها وامتلاك زمام أمرها في مواجهة الغزوة الصهيونية. مذبحة صابرا وشاتيلا.

وسوف نقوم بتحليلها فيما بعد.

٣- عملية الخروج ذاتها لننظر فيها على النحو الآتي:

- حفلات توديع - مقاتلون يخرجون بسلاحهم - عدم تجمعهم في مكان واحد - تشتيتهم - إلخ.. المحافظة على نفس القيادات القديمة..

- لاشك أن عملية الخروج خيانة ضخمة لجماهير المسلمين من الشعبين الفلسطيني واللبناني واللذين تركا لمواجهة العسكرية الإسرائيلية والعسكرية الكتائبية دون سند عسكري أو نفسي.

- يدعي قادة المنظمة أنهم خرجوا من بيروت، لأن بيروت ليست في النهاية مدينة فلسطينية وهذا خطأ تاريخي وواقعي!

تاريخيا فالصراع ليس صراعا فلسطينيا إسرائيليا ولكنه صراع إسلامي صهيوني مع ملاحظة أن قادة المقاومة قد خانوا حتى توجهاتهم القومية.. فمازالت بيروت مدينة عربية!! أليس كذلك؟

وواقعيا فإن صمود بيروت الغربية صمودا فذا لم تكن القيادة تتوقعه ولم تشتك بيروت الغربية، بل حتى لم تئن تحت ضربات العسكرية الإسرائيلية بل ظلت شامخة وأعني أن جماهيرها كانت أكثر صمودا حتى منكم ولم تطالبكم بالخروج، بل قاتلت معكم بيتا ببيت، وكانت على استعداد للصمود حتى النهاية. بل لا أقول جديدا إذا قررت أنها قاتلت حتى بعد خروجكم.

إنها قاتلت لأنها تدرك البعد الحضاري للصراع!

- يدعي قادة المقاومة: أن الخروج من بيروت كان من أجل أطفالها وهل يبيع أطفال بيروت كل مستقبلهم في مقابل لحظة أمان غير مضمونة (انظر صابرا وشاتيلا)

لا يا سادة إن خروجكم من بيروت كان خيانة لأطفالها وبيعا لمستقبلهم وتسليما لهم غنيمة لفوهات «مدافع الكتائب» «وسعد حداد» «وشارون» ولن يغفرها لكم الأطفال.

وهكذا تنتهي معركة بيروت وقد انتقلت قيادة المقاومة الفلسطينية عمليا إلى معسكر أعدائها بانتظار أن تحن عليهم أمريكا بالوفاء بعهد الشرف الذي قطعته على نفسها عبر «حبيب» في إعطاء قطعة من الأرض لإقامة مأوى ذليل لكم.

وهكذا ستسقط قيادة المنظمة تباعا في الحقبة الإسرائيلية مادامت قد تركت الجماهير عارية مقابل وعد أمريكي بالأمان.

وهكذا فلم يعد في الساحة عمليا سوى الجماهير المسلمة المحاصرة من أنظمتها والمقموعة حتى النخاع من قبل أجهزة الشرطة والجيوش..

***

مرحلة آل الجميل:

مرحلة بشير الجميل وأخيه أمين، استكمال ضرب الجماهير المسلمة بعد انتقال المقاومة الفلسطينية عمليا (وسيعقب ذلك رسميا) إلى صفوف أعدائها عقب توقيع اتفاقية الرحيل وخيانة الجماهير المسلمة في لبنان فإن القوى الصهيونية باتت تدرك

أنه لم يعد هناك إلا الجماهير المسلمة في لبنان لتضربها وتصفيها نفسيا وجسديا ليعم العلو والإفساد الإسرائيلي في المنطقة تماما.

ويعم ذلك بطريقين:

- إقامة نظام فاشي في لبنان - لاستكمال حلقة الأنظمة الديكتاتورية في العالم العربي والإسلامي الذي يقوم بضرب حركة الجماهير المسلمة أولا بأول فيريح إسرائيل منها، لأن قيام نظام ديموقراطي في المنطقة يعني قدرة الجماهير على تنظيم نفسها بشروط أفضل وبالتالي يشكل خطرا على إسرائيل.

- عمل مجزرة بشعة تمارس إسرائيل ضربا نفسيا لكل تطلعات الجماهير المسلمة إجهاضا لما يمكن أن يكون قد لحق برحم الأمة من أجنة إسلامية في طريقها للظهور - (صبرا وشاتيلا)..

والطريق الأول يأتي عبر تسليم الرئاسة إلى الكتائب المارونية لإنشاء حكم يقوم بالتصدي للجماهير المسلمة ليمنعها من تطوير نفسها وبروزها للتصدي لإسرائيل، وقد قام الحكم الفاشي بقيادة أمين الجميل بما يلي في الأربعة أسابيع الأولى من حكمه وبعدها.

- نزع سلاح القطاع الغربي من بيروت حيث تتمركز جماهير المسلمين المسلحين.

- عدم نزع سلاح بل تشجيع الميلشيات المسيحية (خمسة وعشرين ألف مقاتل كتائبي) مزودين بأحدث الأسلحة.

- اعتقال المئات من طلائع جماهير المسلمين.

صبرا وشاتيلا:

ضرب الجماهير المسلمة وإجهاض توجهاتها نحو تنظيم نفسها والتصدي للغزوة الحضارية الصهيونية.

وذلك بمحاولة وضع الجماهير في حالة رعب نفسي لا يسمح لها بحرية الحركة

إلى الأمام تفريغا لكل الاحتمالات الجنينية التي علقت برحم الأمة عبر حرب الثلاثة شهور.

إن مذبحة صابرا وشاتيلا في النهاية تأتي لإفراغ التراكمات الثورية الرائعة والوعي بحقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل والتي اكتسبتها جماهير المسلمين في لبنان عبر وهج المعارك ووهج التصدي للعدو.

إن صابرا وشاتيلا جاءت لتسحب – على المستوى النفسي – تلك الثقة بالنفس والثقة في القدرة على النصر التي اكتسبتها الجماهير في خلال حرب الـ ٩٠ يوما.

إن فهم مذبحة «صابرا وشاتيلا» بمعزل عن التحليل المتقدم هو عبث وتهريج بل هو في النهاية جزء من التفريغ أي أنه يساعد في تحقيق أهداف الغزوة.

– إن «صابرا وشاتيلا» بالحساب العسكري والسياسي العادي ليس فيها أي فائدة لجيش إسرائيل الذي قام بها.

فعلى المستوى العسكري ماذا يستفيد جيش احتلال من ذبح ٦ آلاف عزل من السلاح بينهم الرجال والنساء والأطفال؟!

وعلى المستوى السياسي أليس ذلك يشكل عبئا أمام الرأي العام العالمي فضلا عن الإحباط النفسي الذي يعانيه جنود الاحتلال؟!

وهكذا فإن المؤسسة الحاكمة في إسرائيل قد أعدت نفسها لتحقيق الهدف النفسي وهو إخراج الجماهير نفسيا من ساحة المعركة وضرب توجهاتها نحو تنظيم نفسها في اتجاه التصدي لإسرائيل وسحب كمية الوعي الذي تراكم لدى تلك الجماهير خلال المعركة.

وهكذا قامت إسرائيل بتكليف الميليشيات المسيحية (سعد حداد – الكتائب) بالقيام بالمهمة بدلا منها وتحت إشرافها ومباركتها.

على أننا ينبغي أن نورد بعض الملاحظات الخاصة حول المذبحة والتي نستخرجها من شهادات الناجين من المجزرة والمنشور في مجلة شئون فلسطينية

نوفمبر – ديسمبر ١٩٨٢ عدد: ١٣٢، ١٣٣.

في مجمل حديث (م – و) فلسطيني – بقال ٥٣ سنة يقيم في شاتيلا ومر شاب لبناني قال: الريس سمح لي أن أمر لأنني لبناني فقال له واحد لبناني: ولكن مسلم وقتله!!

– وهكذا يتضح من المستهدف من المذبحة إنها الجماهير المسلمة بكل انتماءاتها!!

– (أ – ك) ٧٢ سنة يقيم في مخيم شاتيلا: في طريق عودتنا شاهدنا امرأة تلطم وجهها وتقول:

«ذبحونا قتلوا كل الشباب».. السماح للمرأة بالعبور لإحداث الأثر النفسي المستهدف.

– (ن – ش) فلسطيني بائع (كيروسين) يقيم في مخيم صبرا: «قالوا للمرأة إذا لم تأكلي (برازا) نقتل أولادك فقامت المرأة أمامنا بأكل (البراز).

لاحظ كسر الكرامة والعزة لدى الشخصية المسلمة لقتل روح التطور نحو التنظيم الإسلامي للتصدي لإسرائيل.

– (ج – م) لبنانية ٢٧ سنة ربة منزل من مخيم صابرا:

«أنا منكم وفيكم. من لحمكم ودمكم.. أنا مسيحية من الأشرافية، من حينها تركني» – رغم كونها زوجة مقاتل فلسطيني – من المستهدف!!

– (ع. م) مصرية ٥٠ سنة عاملة تنظيفات بمستشفى عكا:

«كانت مجزرة. أطلقوا علينا الرصاص. وبقيت نائمة دون أي حركة خوفا من أن يشاهدوني. ولكن حضر واحد منهم وأخذ يلكزني بسلاحه حتى يتأكد من موتي. لكني بقيت كما أنا دون أية حركة – تركني، عاد وبعدها أغمى علي، ولا أعرف كيف تم نقلي إلى هنا.

إذن فالمستهدف كل جماهير المسلمين وليس اللبناني والفلسطيني فقط.

- شاب فلسطيني ١٨ سنة. حداد سيارات يقيم في مخيم صبرا:

فجأة حضرت فتاة مصابة بيدها تصرخ وتقول «الكتائب قتلوا أمي وإخوتي كلهم وتركوني مصابة لأحكي ما جرى» تحقيق الهدف النفسي.

- ف. س - مصرية - عاملة في مستشفى غزة - تقيم في صبرا.

- س. خ كردية من تركيا ١٨ سنة من حي بئر حسن.

- المحامي (ي) لبنان - علمنا بمقتل ثلاثة عمال مصريين منهم مساعدي ويدعى عرابي.

- ص. ع ٣٤ سنة مخيم صابرا:

فأجابه المسلح ولكنك مسلم ثم أطلق عليه الرصاص من مسدسه.

لا أحتاج إلى تعليق - مصري - كردي - تركي - لبناني - فلسطيني أي ولكنك مسلم.

- وهكذا فإنه اتضح هدف المجزرة كما ذكرناه سابقا من كسر حاجز الصمود النفسي لدى الجماهير المسلمة وإجهاض توجهاتها الجنينية نحو تنظيم نفسها تحت راية الإسلام.

- نود الإشارة إلى أن الكتائب بإشراف إسرائيل قامت بعمل المذبحة - وأن الحضارة الغربية وليست إسرائيل وحدها متهمة بالمسئولية عن المذبحة. كما أن الأنظمة العربية. شاركت في المذبحة سواء بالسكوت أو بدعم الكتائب (مثل بعضهم) - أو دعم إسرائيل (مثل البعض الآخر).

كما أن قيادة المقاومة الفلسطينية مسئولة وذلك بخيانتها للجماهير وتركها مواجهة بنادق الكتائب وذلك بقبول الخروج من لبنان.

التحقيق في المذبحة:

ولتحقيق أكبر قدر ممكن من أهداف المذبحة ولسحب أي تراكمات إيجابية قد

تبدو في حس الجماهير فإن قادة إسرائيل قد سمحوا بإقامة لجنة تحقيق برلمانية وذلك لتحقيق الأهداف الآتية:

١- إلقاء المسئولية على أشخاص بعينهم مثل شارون - وكأن قرار المذبحة لم يؤخذ في إطار خطة عمل إسرائيلية أمريكية - وبالتالي سحب أي تراكم وعي لدى الجماهير في أنهم يواجهون الحضارة الغربية مجتمعة وطبيعة إسلامية الصراع وكونه تاريخيا وحضاريا.

٢- تخفيف العبء النفسي عن قادة الأنظمة العربية والمقاومة الفلسطينية الذين يقومون بتوقيع صكوك صلح معه إسرائيل.

٣- إيهام الجماهير في أخلاقية الحضارة الغربية - وبالتالي دفعهم إلى عدم التمسك بجذرية الصراع عبر الأيديولوجية الإسلامية وأن خلاص الجماهير يمكن تحقيقه عن طريق مخاطبة ضمير العالم الأوروبي والإسرائيلي - ويا له من هراء -.

وهكذا قامت لجنة التحقيق واستقال شارون من منصبه كوزير للدفاع إلى وزارة أخرى وعين بدلا منه من هو أشد حقدا على المسلمين وأشد عنصرية.

عملية نهب مركز الأبحاث الفلسطيني - إبادة الذاكرة:

تأتي أهمية عملية نهب مركز الأبحاث ضمن المخطط الشيطاني في سحب كل ما من شأنه إضاءة وعي الجماهير بحقيقة كون الصراع صراعا تاريخيا وأيديولوجيا وذلك لاستمرار مخطط منع الجماهير المسلمة من أداء دورها وتحييدها وإخراجها من حلبة الصراع بما أنها الوحيدة القادرة على التصدي للهجمة الغربية الاستعمارية.

إن عملية النهب تأخذ أهميتها من كونها عملية قامت بها القوات الإسرائيلية إحدى مؤسسات دولة إسرائيل.. طليعة الحضارة الغربية - ولاحظ الحضارة الغربية - فكيف تقوم الحضارة الغربية بتدمير مراكز الأبحاث؟!

إن قيام إسرائيل بهذا العمل لا يعني مخالفتها لقيم الحضارة الغربية الزائفة بل يعني إفلاس الحضارة تماما. كما يعني في المقام الأول أن تلك الحضارة لا تتورع عن ارتكاب أي عمل همجي في سبيل تعتيم وعي الجماهير وإبادة ذاكرتها.

إن أهمية مركز الأبحاث تأتي في كونه بما يضمه من مجلدات ووثائق ومخطوطات قد تهم في إضاءة وعي الجماهير بحقيقة الصراع.

وهكذا فليس غريبا على الكيان الصهيوني محاولاته المستمرة لتدمير المركز بالسيارات الملغومة وبالطرود الناسفة والتي لم يكتب لها النجاح وأخيرا نجاحها في تخريب المركز بعد دخولها بيروت في ١٥ – ٩ – ١٩٨٢.

وهكذا فتدمير المركز يأتي ضمن حلقات حصار الجماهير المسلمة تمهيدا لإدخال المنطقة في التسوية الإسرائيلية نهائيا.

الجماهير المسلمة لم تفقد بعد فاعليتها:

– برغم تلك الظروف الصعبة جدا من خروج المنظمة من بيروت. خيانة الأنظمة العربية – دعم غير عادي لإسرائيل – دولة فاشية بقيادة آل الجميل في لبنان – إلا أن الجماهير لم تفقد بعد ولن تفقد أبدا إيجابيتها – لأن هذه سنة الله سبحانه – ولأن الجماهير هي وحدها صاحبة المصلحة في التصدي للغزوات الصهيونية الصليبية القذرة.

وهكذا فإن الجماهير مازالت تعمل ولقد ظهر ذلك عمليا في:

١ – اغتيال وتصفية بشير الجميل رأس الحقد الصليبي ومجموعة من أساطين حزب الكتائب الماروني الصليبي المتآمر في عملية أروع ما تكون وفي ظروف أمنية غاية في الإحكام مما يدل على أن قدرة الجماهير المسلمة هي بلا حدود ومما يدل على أن مدد الله يأتي للذين يحاولون.

واستمرارا في عملية سحب أي تراكم وعي لدى الجماهير المسلمة خارج وداخل الوطن المحتل، روجت وكالات الأنباء والصحف في المنطقة أن إسرائيل هي المسئولة عن اغتيال الجميل. وهذا هراء واضح. فأين التناقض بين بشير الجميل وإسرائيل؟ – إن إسرائيل ذاتها هي التي أوصلته إلى سدة الرئاسة فوق دباباتها.

إن ذلك المؤشر يعني أن تقول تلك الأوعية الإعلامية المرتبطة بالغرب أن

خلاص الجماهير ليس على أيديها ذاتها بل على يد إسرائيل عدوتها أليس هذا هراء؟!

كما أن ذلك يسحب رصيد الثقة من الجماهير المسلمة في الجماهير المسلمة داخل لبنان ويوهمها بأنها فقدت الفعالية!

اتهام الحزب القومي السوري الاجتماعي بذات الاتهام ليس له أساس لذات الأسباب، لأنه لا يملك تناقضا مع بشير الجميل. إن الوحيد الذي يملك تناقضا مع بشير الجميل هو الجماهير المسلمة.

٢- عملية نسف مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور، إن تلك العملية تعني ببساطة شديدة أن خط الاستشهاد - القسام - أحمد عبد العزيز - عبد القادر الحسيني - شهداء الكرامة مازال يعمل ولن ينهار أبدا.

٣- عمليات التصدي المستمر بالسلاح وخلافه لقوات الاحتلال الإسرائيلي والعمليات الفدائية داخل خطوط العدو..

٤- محاولة تدمير قوة المفاوضات اللبنانية الإسرائيلية في كريات شموته «رفض المفاوضات كأسلوب».

٥- التظاهر والانتفاض ضد قوات الاحتلال.

استدراج المقاومة نحو التسوية:

قلنا: إنه عمليا فإن المقاومة (القيادة قد فقدت أهم أسلحتها بعد إصدار ياسر عرفات للوثيقة التاريخية المشهورة أثناء الحصار في مقابلة كلاوز الأمريكي).

وإنه بعد إتمام الرحيل عن بيروت فقدت قيادة المقاومة الشروط الخاصة التي كانت تعطي شكل تناقضها مع الكيان الصهيوني أبعادا خاصة.

وهكذا فإن التلويح بقطعة أرض تقام عليها دولة فلسطينية سيسقط التناقض نهائيا.

وهكذا بدأت القوى الشيطانية عبر البعض بمحاولة دفع قيادة المنظمة نحو السقوط الرسمي في بؤرة التسوية.

في مقابلة إذاعية وتليفزيونية وعلى لسان ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قبل انتقاله من أثينا إلى تونس: «إننا لا نتقدها. لكننا نقوم بدراستها».

في إطار موقف اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية من المشروع الأمريكي أعرب رئيس الدائرة السياسية للمنظمة فاروق القدومي (أبو اللطف) عن اعتقاده بأن بيان الرئيس ريجان حول مستقبل الأراضي التي تحتلها إسرائيل يتضمن عناصر جديدة (٣ – ٩ – ١٩٨٢).

منذ أول ديسمبر الماضي لم يمض يوم في المناطق التي يقيم فيها الجيش الإسرائيلي حواجز احتلاله ومراكز آلياته العسكرية دون عملية مسلمة ضد قواته سواء بالقنابل أو انفجار الألغام أو بواسطة السيارات الملغمة في حالة شبه دائمة من الذعر في ظل احتياطات أمنية مشددة بالنسبة إلى تنقل القوات إلى مواضعها أو حواجزها العسكرية.

– أمر الحاكم العسكري الإسرائيلي في الجنوب بتاريخ ١٠ ديسمبر باعتقال ٣٥ شخصا من قرى مختلفة لاتهامهم بإعادة تنظيم شبكة إرهابية.

– انفجار لغم أرضي في سيارة عسكرية إسرائيلية في حاصبيا في البقاع الغربي.

– في مخيم عين الحلوة الذي تحاصره القوات الإسرائيلية قتل جنديان نتيجة انفجار لغم قرب موقع عسكري على مدخل المخيم.

– في بعبدا انفجر لغم أرضي في سيارة عسكرية إسرائيلية قالت مصادر إسرائيلية إنه جرح بسببه جنديان!

– كما وجدت جثة إسرائيلي كان يدعى «مزارحي» ينقل الوقود والبنزين إلى مواقع القوات الإسرائيلية في الشوف.

– في مطلع شهر فبراير تعرضت سيارة أتوبيس عسكرية إسرائيلية لنيران الرشاشات والقنابل اليدوية – وهي تنقل الجنود عند مدخل بيروت قرب عرمون.

أصيب في هذه العملية ٢١ جنديا إسرائيليا.

- في ١٠ فبراير - انفجرت شحنة ناسفة في مركبتين إسرائيليتين شرق بيروت.

- تعرضت قافلة إسرائيلية لكمين قرب مفرق الزرارية - أبو الأسود شمال صور وأطلق المهاجمون الرشاشات والقذائف على القافلة الإسرائيلية.

- وفي إطار مواقف الأطراف الفلسطينية العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية من قمة فاس حدد المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطيني المنعقد في دمشق يوم ١٩ من أيلول عام ١٩٨٢ الموقف التالي: «استعرض المجلس نتائج مؤتمر القمة العربي في فاس وما أسفر عنه من مقررات تؤكد عودة الإجماع ووحدة الصف العربي والتمسك بوحدة الكفاح الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية والتأكيد على حقوقنا الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف. بما فيها حقنا في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. تلك القرارات التي تنطلق في فهمنا لها من التزامنا بقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية. وثمن المجلس المجهود القيم الذي بذله الوفد الفلسطيني في المؤتمر للوصول إلى النتائج التي وصل إليها ونجاح المؤتمر.

وهكذا حدد المجلس المركزي لمنظمة التحرير موقفه بالموافقة على مقررات قمة فاس. بل والتفاخر بأنه المسئول عن إخراجها بما بذله من مجهود.

مقررات قمة فاس:

١ - انسحاب إسرائيلي من جميع الأراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧.

٢ - إزالة المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي العربية بعد عام ١٩٦٧.

٣- ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

٤ - تقرير حق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد وتعويض من لا يرغب في ذلك.

٥- إخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة شهور.

٦- قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

٧- يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

٨- يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادئ.

- وفي حديث لياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لوكالة الأنباء الجزائرية لدى وصوله إلى الجزائر قادما من المغرب بعد انتهاء أعمال قمة فاس «نفى أن يكون البند السابع من ميثاق فاس تنازلا عربيا من دون مقابل» وأوضح: إننا نربط طبقا للشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة بين السلام وبين إنشاء دولة فلسطينية تكون القدس عاصمة لها.

وهكذا فإن قيادة المقاومة الفلسطينية تعترف بإسرائيل وتطلب قطعة أرض تقيم عليها دولتها وهكذا فإن كل التناقضات قد حلت والقوى قد أفرزت لتجد الجماهير المسلمة وحدها وجها لوجه مع كل رموز المرحلة.

مرحلة الجماهير المسلمة:

هذا هو عصر الجماهير المسلمة. إن الجماهير المسلمة تقف اليوم على أعتاب مرحلة خطيرة جدا فلم يبق في الساحة سواها في مواجهة الهجمة الصهيونية الأمريكية الاستعمارية الصليبية السافرة.

لقد خرجت القوى واحدة بعد الأخرى من حلبة الصراع وانضمت في بعض الأحيان إلى الكيان الصهيوني في مواجهة الجماهير. لأن تلك القوى من ليبرالية واشتراكية ووطنية وقومية لا تملك تناقضا جوهريا وحقيقيا مع الكيان الصهيوني.

وهكذا وبنهاية حرب ١٩٨٢ كانت القوى العاملة والمؤثرة في الصراع كالآتي:

١- الجماهير المسلمة وطليعتها الواعية مدعومة في صراعها بكل المستضعفين

في العالم.

٢- الثورة الإسلامية في إيران والطرفان السابقان في خندق واحد.

٣- الأنظمة العربية.

٤- الكتائب والميليشيات المسيحية.

٥- الكيان الصهيوني.

٦- الغرب الاستعماري الأمريكي والأوربي والأربع قوى السابقة في خندق واحد.

في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في المؤشرات الأولية لم يخرج عما سبق التوقع له طبقا لهذه الدراسة مع ملاحظة ما يلي:

١- تشكيل وفد تضامن ومناصرة مع الشعب الفلسطيني وقد رحل هذا الوفد من القاهرة إلى الجزائر ممثلا فيه كل الأطراف ما عدا طرف واحد هو الاتجاه الإسلامي الجماهيري. ولقد تجاهل المسافرون والداعون الشيخ أحمد المحلاوي برغم ثقله الجماهيري الواسع جدا حيث اختصه الرئيس الراحل بالسباب علنا على شاشة التليفزيون وذلك لموقف الشيخ الصامد في رفض كامب ديفيد وتحريض الجماهير على رفضها.

حاول الشيخ أحمد المحلاوي أن يصحب وفد المناصرة فتم استبعاده عبر حركات بهلوانية من المشرفين على الوفد وتم تسويفه لتفويت الفرصة عليه ليذهب منفردا وعلى مسئوليته الخاصة!! هل يعني هذا أن المؤتمر قد رسم له أن يسقط في مستنقع التسوية.

٢- استقبال المؤتمر لبعض ممثلي اليهود داخل فلسطين - حركة السلام الآن. وغيرها من الحركات المشبوهة. إنني أفهم أن يستقبل المؤتمر مناصرين من أمريكا وأوروبا ومناصرين من اليهود خارج الأرض المحتلة أما أن يستقبل يهودا من داخل الأرض المحتلة فيعني إسقاط كل الأدوات الأيديولوجية والتاريخية في الصراع.

والسؤال إذا كان هؤلاء اليهود قد اقتنعوا بالحق الفلسطيني. فلماذا لم يرحلوا من إسرائيل. إن استمرار وجودهم في إسرائيل يعني مزيدا من التشريد لشعبي. أن وجودهم يفني وجودي في أبسط الأحوال وهكذا تفقد قيادة المقاومة الرؤية التاريخية تماما.

مقررات المجلس الوطني:

وقد توصلت فصائل المقاومة جميعا لاتفاق حول القرارات السياسية المتعلقة بصياغة الموقف من مشاريع التسوية المختلفة والعلاقة مع الأردن ومصر وسوريا على النحو التالي:

١- يعتبر المجلس الوطني الفلسطيني مقررات قمة فاس هي الحد الأدنى للتحرك السياسي العربي الذي يجب أن يتكامل مع العمل العسكري بكل مستلزماته. لصالح تعديل ميزان القوى لصالح الحقوق العربية والفلسطينية العادلة ويؤكد المجلس أن فهمه لتلك القرارات لا يتناقض مع الالتزام بالبرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني السابقة.

لاحظ كلمة تغيير ميزان القوى لصالح الحقوق العربية والفلسطينية وليس أبعاد الصراع التاريخية والأيديولوجية – راجع مقررات قمة فاس التي تدعو إلى الاعتراف بإسرائيل.

٢- من جانب آخر لم يرفض المجلس مشروع ريجان رفضا قاطعا ولم يقبله في نفس الوقت. يعني نقبله إذا كان ريجان جادا في كلامه ألا يعني هذا السقوط في سلة التسوية نهائيا.

٣- يعبر المجلس عن التقدير والتأييد للمقترحات التي تضمنها مشروع الرئيس بريجنيف الصادر في ١٦ – ٩ – ١٩٨٢.

لاحظ كلمة التقدير والتأييد وليس «تبني» مثلا.

٤- يؤكد المجلس على أهمية تعزيز العلاقات مع القوى الوطنية المصرية من

أجل العمل على إسقاط كامب ديفيد وتحرير مصر من قيودها لمصلحة الشعبين المصري والفلسطيني وضرورة تحديد العلاقة مع النظام المصري بهدف تحرره وابتعاده عن كامب ديفيد.

لاحظ أن القوى الوطنية المصرية ليست إلا رفعت السعيد وخالد محيي الدين فأين الشيخ المحلاوي الذي وقف مع القضية دائما وأول من رفض كامب ديفيد رفضا عمليا ذا أثر وأين الإسلاميون عموما الذين أسقطوا رأس نظام كامب ديفيد ودفعوا عشرات الشهداء وآلاف المعتقلين أم أنهم رغم ذلك ليسوا قوى وطنية!!

٥- التأكيد على العلاقة الخاصة والمميزة التي تربط الشعبين الأردني والفلسطيني وضرورة العمل على تطويرها - ويرى المجلس أن تكون العلاقة المستقبلية مع الأردن على أسس كونفدرالية بين دولتين مستقلتين.

الآن اتضح شكل التسوية قطعة أرض للفلسطينيين مع اتحاد كونفدرالي مع الأردن «مع الملك حسين»!! ولا تعليق.

هل ستكون تلك الدولة ضد إسرائيل أم ضد الجماهير المسلمة وهل نسينا بعد مجازر سبتمبر الأسود.

٦- تدعيم العلاقة مع الحركة الوطنية اللبنانية وسوريا.

لاحظ الغموض..

- التزاما بالقرارات السابقة للمجلس الوطني الفلسطيني والخاصة بالعلاقات مع القوى التقدمية والديموقراطية اليهودية. يدعو المجلس اللجنة التنفيذية إلى دراسة التحرك في هذا الإطار بما يتلاءم ومصلحة النضال.

انظر تعليقنا السابق على استقبال ممثلي تلك القوى التقدمية والديموقراطية!!

٧- خرجت قيادة منظمة التحرير عن أن تكون مؤثرة في الصراع ويمكن أن نضيفها إلى الأنظمة العربية بشكل أو بآخر.

لماذا لم يعد في مواجهة الغزوة الاستعمارية الصليبية إلا الجماهير المسلمة:

١- لأن كل القوى لا تملك تناقضا مع إسرائيل.

٢- لأن تلك الجماهير هي الوحيدة التي تملك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني فإن تلك الجماهير تدرك:

(أ) أن حضارتها مستهدفة.

(ب) حريتها مستهدفة.

(جـ) كينونتها ووجودها ذاته كأمة مسلمة مستهدفة.

(د) لقمة عيشها مستهدفة.

(هـ) أن انتماءها هو الهدف النهائي.

وكذلك تلك الجماهير تملك:

(أ) إدراكا ووعيا تاريخيا عميقا بحقيقة الصراع.

(ب) أيديولوجية ربانية إسلامية تملك لها القدرة على الفهم والعمل والتحليل والاستجابة.

(جـ) بعدا بشريا ضخما في مواجهة إسرائيل يشكل عمقا استراتيجيا.

(د) دعما مباشرا وغير مباشر من الثورة الإسلامية في إيران وأهم ما تملك تلك الجماهير هو مدد الله سبحانه وتعالى.

التناقض الثانوي الأخير..

بعد خروج المقاومة من بيروت وتشتتها في العالم العربي. ومحاولة تجمع بعض عناصرها في طرابلس وغيرها من مدن ومناطق لبنان. بدأت القوى الشيطانية وكأنها قد نجحت في حل تناقضها مع المقاومة (تناقض ثانوي) عبر إخراجها من لبنان وجرها إلى التسوية. ولكن كان هناك تناقض ثانوي آخر بين النظام السوري الخائن والقذر وبين العدو الصهيوني والهجمة الاستعمارية وبدأ كل طرف يجمع أوراق الصراع. فالجانب الإسرائيلي يوقع اتفاقية مع النظام اللبناني (أمين الجميل) لتكريس

دولة فاشية في لبنان تقوم بتحقيق أهداف الكيان الصهيوني وفقا لما تم شرحه وبمباركة ودعم كامل من أمريكا.

وبدأت المسألة كالتالي:

دولة فاشية تقمع الجماهير بالجيش والميليشيات المارونية.

قوة متعددة الجنسيات (استعمارية حتى النخاع).. أمريكا بمصالحها الاستعمارية في المنطقة – فرنسا بمصالحها أيضا وميراثها الصليبي الاستعماري الموغل في عداء الجماهير المسلمة.

منظمات فلسطينية مشتتة تتساقط سراعا في سلة التسوية.

جماهير بدت لوهلة قصيرة أنه تم تحجيمها.

النظام السوري بتواجده ومصالحه في لبنان وكان على إسرائيل والغرب الاستعماري الذي بات يدرك أنه لابد من حل التناقض الثانوي مع النظام السوري. ولكي نفهم طبيعة التناقض الثانوي هذا علينا أن ندرك طبيعة النظام السوري.

النظام السوري في النهاية ليس إلا أحد أوجه العلمانية المرتبطة بالغرب وطبقا للمفهوم السابق شرحه في الصراع فإن له توجهات خاصة تدفعه لعدم السقوط في التسوية إلا بعد أن ينال نصيبه من الكعكة وهو نظام فاشي ودموي يواجه حركة مد جماهيري إسلامي في الداخل

لا يستطيع مواجهاتها إلا عبر المزايدة بأنه لم يسقط في التسوية وأنه مازال يواجه عدو الأمة الإسلامية التاريخي (إسرائيل) وأنه بالتالي يتقي ذلك الضغط الإسلامي في الداخل الذي لا يستطيع مواجهته إلا بالقوة العسكرية التي لن يجد لها مبررا سوى استمرار مواجهة ولو شكلية مع إسرائيل وهكذا فإن حركة الجماهير المسلمة الضاغطة على النظام السوري في الداخل تؤخر سقوطه في الحقبة الإسرائيلية. لأن النظام السوري يدرك جيدا أن الحائط الأخير أمام سقوطه هو استمرار المزايدة بمواجهة إسرائيل ولكن يجب أن ندرك أن النظام السوري في هذه المواجهة. يريد أن يضع حركة الجماهير المسلمة في لبنان في جيبه يزايد بها – لينال بها أكبر نصيب من

الكعكة. وأنه لن يسمح بأي حال من الأحوال أن تتجاوز حركة الجماهير خطا معينا. وإلا فإنه يدرك أنها سوف تطيح ضمن ما تطيح به هو في النهاية. وفي هذا الإطار ينبغي فهم تحركات النظام السوري العميل الذي فقد كل مبررات وجوده في الداخل ولم يعد قادرا على السقوط في الحقبة الإسرائيلية بفضل حركة الجماهير المسلمة داخل سوريا.

وهكذا فإن الجميع بدأ يعيد ترتيب معطياته لخوض جولة يتم فيها حسم التناقض الثانوي بين النظام السوري وإسرائيل وفقا للرؤية السابقة فإسرائيل بعد أن تم لها دخول بيروت وإقامة نظام فاشي وقوات متعددة الجنسيات – واستدراج المقاومة نحو التسوية فإن عليها أن تدعم مركز قادة المقاومة (عرفات) ليستطيع أداء دوره في التسوية والنظام السوري لكي يحافظ على وجوده من ناحية ولينال نصيبه من الكعكة من ناحية قام بـ:

١ – دعم حركة الجماهير جزئيا ومحاولة التفاف النظام حولها ليضمها إلى أوراقه في الصراع.

٣– جعل المقاومة الفلسطينية في جيبه تماما ليساوم بها وليحقق شروطا أفضل.

وهكذا بدأ صعود ما يسمى بحركة الانشقاق داخل فتح.

فقد دفع النظام السوري بعض رجال فتح بالانتفاض ضد قيادة ياسر عرفات مستثمرا ذلك المناخ الذي أفرزته حلقات الصراع من أن ياسر عرفات قد خان الجماهير المسلمة «وهذه حقيقة» ولكن النظام السوري لا يرفض عرفات ويدفع رجال المنظمة للانتفاض ضده وعيا لحركة الجماهير ولكن لتصبح المنظمة بالكامل في جيبه وإحدى أوراقه في تحقيق شروط أفضل وفي تحقيق ابتزاز أكبر لدول النفط لتدفع له مزيدا من الدولارات.

على أي حال تتركه إسرائيل ويخرج عرفات وتنتهي عملية وجود ما يسمى بالمقاومة الفلسطينية على أرض لبنان مع ملاحظة أن إسرائيل تقوم ببعض الحركات مثل رفضها شكليا خروج عرفات وذلك في محاولة لدعم مركز عرفات. فهي تتركه

للنظام السوري كي يدفعه أكثر بالضغط عليه في اتجاه مطار التسوية عبر الأردن وكامب ديفيد وقد كان لها ما أرادت.

ومن ناحية أخرى تعطيه صفته لتقويته كزعيم لمنظمة التحرير عبر عملية تبادل الأسرى المشبوهة «٦ في مقابل ٦ آلاف».

وهكذا تنتهي حركة الانتفاضة بالآتي:

انتهاء وجود منظمة التحرير الفلسطينية ككيان مستقل في لبنان. وأصبح ما بقي منه في لبنان ملحقا بالنظام السوري ويتحرك من خلاله.

اندفاع مجنون من ياسر عرفات ورجاله نحو قطار التسوية بشكل نهائي.

وهكذا تتشكل أبعاد الصراع الثانوي الأخير على أرض لبنان بين النظام السوري وإسرائيل.

وبالطبع فإن النظام السوري ضمن ذكائه في لعب أوراقه بأن يجعل الاتحاد السوفيتي يراهن على السوريين لاستعادة بعض مواقعه وليتواجد في المنطقة بعد أن تم طرده منها على يد أمريكا بصورة مؤلمة بعد أن أكل الأمريكان الملك في القاهرة – ويلاحظ أن النظام السوري يستعمل أيضا الورقة السوفيتية في تحسين شروط تفاوضه ليس إلا.

وهذا التناقض الأخير لن يتم حسمه إلا عبر:

إما أن يسلم الغرب الاستعماري وإسرائيل بحق النظام السوري في جزء من الكعكة.

وإما أن يتم صدام معه لحسم التناقض عسكريا.

وإن تحديد أي خيار منهما يتوقف بالطبع على عدة عوامل أهمها وأبرزها هو حركة الجماهير الإسلامية لأن التناقض الجوهري دائما هو الذي سيحدد شكل وأبعاد التناقضات الثانوية.

***

العالمية الإسلامية الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾.

وهكذا فإننا الآن في لبنان أمام خراب شامل وظلام شديد.

- قوات احتلال إسرائيلية.
- قوات النظام السوري «بالشروط والأوضاع السابق شرحها».
- انتهاء وجود منظمة التحرير الفلسطينية عمليا.
- دولة فاشية مارونية على رأسها أمين الجميل بن بيير الجميل.
- جيش ذي توجهات مارونية.
- قوات أمريكية وفرنسية ذات توجهات واضحة العداء للجماهير المسلمة.
- ميلشيات مارونية شديدة الحقد على الجماهير المسلمة.

جماهير مسلمة بدا للحظة أن كل شيء قد انهار بالنسبة لها وأن الصعود اليهودي قد بلغ ذروته وأن الخراب قد أصبح شاملا.

ولكن كان الخراب المبدع.

صعود الجماهير المسلمة:

حقا إنه الخراب المبدع. من رحم الأمة الخصيب من الخراب المبدع بدأ صعود الجماهير. باتت الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية والتناقض الجوهري مع

الكيان الصهيوني والغزوة الأمريكية الفرنسية والحقد الماروني الصليبي بدأ العملاق ينتفض ويستمر ويتقدم.

لم تنته حركة الجماهير. مازال عز الدين القسام وفوزي القاوقجي وحافظ سلامة وأحمد عبد العزيز والحسين مازالوا في الطليعة. ها هي الجماهير المسلمة. تملك أيديولوجيتها الإسلامية ورؤيتها الفذة. بدت الجماهير وجها لوجه أمام فلذة أكباد القوى الشيطانية فالجماهير المسلمة غير قابلة للهزيمة. لأنها وحدها تملك رصيد الانتصار بدأ انقلاب المنحنى وبدأ الصعود الإسلامي مرة أخرى على يد جماهير الجنوب وبيروت.

ها هي الجماهير تعيد تشكيل نفسها تحت قيادات إسلامية ووفق أيديولوجيتها الإسلامية وبلا أدنى تواجد لكل الرموز العلمانية التي منعت الجماهير طويلا من أداء دورها وساهمت في تضليلها وكبت حركتها المبدعة. بدأت تلك الجماهير تمتلك زمام أمرها وبدأ الانتفاض التاريخي العظيم بدأت العالمية الإسلامية الثانية.

فبعد أن قامت الجماهير المسلمة والتي لم تنقطع حركتها يوما وبعد أن تم اغتيال بشير الجميل والمقاومة الشعبية الفدائية لقوات العدو الصهيوني مستمرة.

بدأت انتفاضة الجنوب الرائعة. قام رجال الدين الثوريين من أمثال الشيخ محمد شمس الدين بإعطاء حركة الجماهير زخما هائلا والتلاحم معها والتصدي المستمر للهجمة الصهيونية. بدأت الجماهير تقاوم مقاومة يومية رائعة مسلحة وغير مسلحة. بدأت تجمع نفسها حول الشعارات الإسلامية التي تخرج طاقاتها الهادرة فهاهي الجماهير تتقدم «خيبر خيبر يا يهود. جيش محمد سوف يعود» وهكذا عاد جيش محمد ليحقق أروع الانتصارات في تاريخنا المعاصر على اليهود وتستمر المقاومة ويصبح ثمن الاحتلال باهظا وتضطر إسرائيل للانسحاب من كثير من المناطق والبقية تأتي إن شاء الله.

ها هي الجماهير المسلمة تضرب الغرب كل الغرب وليس اليهود وحدهم:

- نسف مقر قيادة القوات الأمريكية (مشاة الأسطول – المارينز) في عمل فدائي

رائع حسيني لا يمكن مقاومته على حد قول أحد رجال المخابرات الأمريكية: إن الأعمال من هذا الطراز لا يمكن مقاومتها.

حقا فإن الجماهير المسلمة إذا امتلكت إرادتها ولم يحل حائل بينها وبين عدوها. فإنها لا يمكن مقاومتها ليس لها إلا أن تنتصر لأن هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا. ولن تجد لسنة الله تحويلا.

- نسف مقر قيادة القوات الفرنسية.

- النسف اليومي المستمر لكل قواعد الاحتلال الصهيوني.

- المقاومة المستمرة لكل أساليب الدجل ومحاولة دفع الجماهير إلى أنصاف الحلول عبر الأطروحات اليسارية واليمينية وغيرها. الجماهير لا تعرف التفاوض لقد تم ذبح السلام والتفاوض على يد جماهير المسلمين في لبنان. وليس لهم إلا أن ينتصروا.

الجماهير في زحف ملحمي رائع تسيطر على بيروت الغربية والجبل. يا لها من لحظة رائعة.

الاستيلاء على الإذاعة والتليفزيون.

القيمة التاريخية لحركة الجماهير في تحرير بيروت والجبل.

حينما رفعت الجماهير شعار «خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود».

حينما رفعت الجماهير ذلك الشعار ومارسته فإنها في الحقيقة قد أعلنت يوم ٧ يناير سنة ١٩٨٤.

- بداية العالمية الإسلامية الثانية - وصعود مد الجماهير المسلمة مرة أخرى.

- إنهاء وجود الدولة الفاشية في لبنان.

- إقامة دولة الجماهير في المناطق المحررة.

- بداية نهاية إسرائيل.

- لقد حسمت الجماهير المعركة في اتجاه إسقاط التسوية. لقد سقطت يوم ٧ يناير.

- الحقبة الإسرائيلية.

- الهجمة الغربية.

- كل الأطروحات العلمانية.

- كل الحلول الوسط والتردد والتفاوض ولقد أبرزت.

الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وإقامة العالمية الإسلامية الثانية هي حرب التحرير الشعبية الإسلامية.

- إن الجماهير المسلمة التي تملكت زمام أمرها غير قابلة للهزيمة.

انسحاب مشاة البحرية الأمريكية:

لقد أدركت الإدارة الأمريكية أنها أمام تحد من نوع لا يمكن هزيمته أنها أمام الجماهير المسلمة وتحت قيادة الرموز الإسلامية وبالتالي فلا حاملات الطائرات

ولا المدمرات ولا قذائف الألف كيلو ولا نيوجرسي ولا كل ترسانة الأسلحة الأمريكية قادرة على فعل شيء. إذا صعدت الجماهير. فالجميع ينسحب الجماهير المسلمة تكتسح في طريقها كل شيء.

- إنني أرى أن العدو الصهيوني سوف يدرك هذا سريعا وسوف ينسحب تباعا لأنه أيضا لا يستطيع أن يتصدى لتلك القوة الهائلة المندفعة بقوة دفع ١٤٠٠ عام وبقوة دفع محمدي حسيني.

ولكن هل تستسلم القوى الشيطانية؟

إذا كانت القوى الشيطانية قد انسحبت أمام الطوفان الهادر من الجماهير المسلمة فإنها لن تستسلم بسهولة. ستحاول الالتفاف حول حركة الجماهير بما أنها تدرك أن هذه الجماهير لا يمكن هزيمتها من الخارج فإن عليها أن تحاول هزيمتها

من الداخل.

إن تحرك القوى الشيطانية في الحقبة المقبلة يتمثل في:

- تفريغ حركة الجماهير من مضمونها.

- توجيهها في عكس الاتجاه الصحيح أو عبر قنوات جانبية. إن القوى الشيطانية تدرك أنها لو تركت حركة الجماهير في مسارها الصحيح فإن هذا يعني:

- نهاية الكيان الصهيوني.

- نهاية الحضارة الغربية.

- بداية العالمية الإسلامية الثانية.

وهذا يستوجب أن تكثف القوى الشيطانية عملها وتحشد أفضل أسلحتها عبر:

- محاولة نزع الدرع الجماهيري وذلك عبر محاولة استرضاء الزعماء ببعض المكاسب في لبنان «مثل إعادة توزيع السلطة والثروة» مما يستتبع أن يقع الزعماء في التفاوض ومحاولة تفريغ الشارع من الجماهير المسلمة بدعوى المحافظة على النظام. وهذا أخطر منزلق يمكن أن ينزلق إليه الزعماء فإنهم بهذا يكونون قد ضيعوا فرصة تاريخية لإقامة العالمية الإسلامية الثانية.

محاولة إيصال عناصر علمانية ذات وجه مقبول إلى السلطة في المنطقة ويتوقف هذا على قوة المد الجماهيري. الوفد في مصر مثلا - ريمون أدة أو حتى وليد جنبلاط في لبنان وحتى نبيه بري ذاته ذو التشوهات العلمانية.

- حل التناقض مع النظام السوري واستعماله في ضرب حركة الجماهير الذي يدرك النظام السوري خطورتها عليه هو أيضا.

- محاولة الإيقاع بين الطوائف. سني - شيعي - درزي - علوي. إلخ!!

كل القوى سوف تتجمع..

لاشك أن حركة الجماهير المسلمة قد وصلت الآن إلى مرحلة خطيرة جدا

وبالتالي فإن كل القوى الشيطانية سوف تتجمع لمنع البركان الإسلامي الهائل من اكتساح كل التخلف والعمالة والجهل والاستعمار.

إن الحركة الجماهيرية الإسلامية الآن قد أصبحت خطرا على كل القوى.

- الرجعية العربية - والتقدمية العربية -.

- خطرا على الغرب كل الغرب بشقيه الرأسمالي والشيوعي.

- خطرا على اليهود وكل أبناء الأفاعي - على الصليبيين من كافة الأشكال.. وبالتالي فإن كل القوى ستقف الآن وبحزم في وجه حركة الجماهير.

- سيحاول النظام السوري لجم حركة الجماهير وإخراجها عن مسارها الصحيح وإذا لم ينجح فسوف يضربها بقسوة متعاونا مع إسرائيل وأمريكا وفرنسا. وما تل الزعتر ببعيد.

- ستحاول الرجعية العربية القيام بدور التهدئة والوساطة وخلافه لتفريغ الشارع الإسلامي المسلح من قوة دفعه.

- سيستعمل الغرب كل أدواته الفكرية لتضليل الجماهير وصرفها عن الاستمرار في تحقيق النصر.

وهكذا فإن على الجماهير:

- ألا تلقي سلاحها أبدا.

- ألا تقبل بالحلول الوسط. وأن تمنع الزعماء من القبول بها فدماء الجماهير ليست أوراق تفاوض.

- أن تستمر في القتال حتى النهاية لإقامة كيان إسلامي على حدود إسرائيل ليكون نقطة ارتكاز لتحرير فلسطين. كل فلسطين.

- على الجماهير المسلمة أن تثري أيديولوجيتها الإسلامية بمزيد من الإيمان والوعي. بالعبادة والنضال السياسي. بالتأمل المستمر والدراسة المضنية.

- على الجماهير المسلمة أن تفرز هياكلها القادرة على استيعاب طاقاتها باتجاه المستقبل عملا على بناء حائط جماهيري صلب في مواجهة كل أشكال القمع من قبل الأنظمة العربية والكيان الصهيوني.

- على الجماهير المسلمة ألا تثق إلا في نفسها بعد ما عانته من خيانات كافة القوى السياسية على اختلاف درجاتها من يمين ويسار.. إلخ.

لأن الجماهير المسلمة هي وحدها التي تملك التناقض الحقيقي مع الكيان الصهيوني.

- على الجماهير المسلمة أن تحقق تلاحما لا ينفصم مع الثورة الإسلامية الإيرانية وأن تتبنى مقولاتها في الجهاد وأن تسقط كل العوائق المفتعلة تجاه تقليل أطر التعاون والتلاحم والاندماج بينها وبين الثورة الإسلامية في إيران.

مدركة أن تلك الثورة الإسلامية هي أيضا الوحيدة التي تملك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني.

- على الجماهير المسلمة أن تطرح شعار حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى في مواجهة رأس الحربة الغربية.

- على الجماهير المسلمة أن تنتزع حقها في الحريات السياسية وحقها في الحياة الكريمة من الأنظمة العربية مدركة أن الأنظمة العربية هي في النهاية في خندق واحد مع الكيان الصهيوني وتعمل لصالحه.

- على الجماهير المسلمة أن تدرك أن الثورة الإسلامية داخل الوطن المحتل هي عصب حركتها فعليها أن تتمحور باذلة لها كل عطاء ومقدمة لها كل عون وواقفة وراءها بصلابة. لأن تلك الجماهير المسلمة في الأرض المحتلة مرشحة للقيام بأخطر دور في تلك المرحلة لإسقاط الحقبة الإسرائيلية.

دور الجماهير المسلمة وطلائعها الواعية داخل الأرض المحتلة.

إن جماهير الأرض المحتلة بما لها من خصوصية خاصة فهي في المقام الأول

جزء من حركة الجماهير المسلمة ككل بل هي عصبها ومركزها. فهي بما أنها جزء من حركة الجماهير المسلمة. فهي تملك كل أدوات الجماهير المسلمة في الصراع وكل خبراتها التاريخية. إلا أنه وبوجه خاص فإن جماهير الأرض المحتلة تملك بعدا خاصا في الصراع وهو أنها في تماس مباشر مع الكيان الصهيوني. وفي صدام يومي معه وبالتالي فهي أكثر قدرة على الفهم والإدراك والوعي التاريخي وهي أكثر قدرة على الحركة في مواجهة عدو تتعامل معه يوميا.

كما أن تلك الجماهير قد وقع عليها بشكل خاص كل الآلام والمحن والتجارب القاسية من تشريد وتجويع وحصار وغيرها وبالتالي فإنها تملك تراكماتها الخاصة في مواجهة ذلك الكيان.

إن تلك الجماهير تعمل مباشرة في مواجهة الاحتلال – مع شروط أخرى – دون أن تقف في سبيلها حكومات وأنظمة تمنعها عن أداء دورها بالأساليب القمعية المعروفة والتي تعاني منها الجماهير خارج الأرض المحتلة.

– وبما أن إسرائيل تدرك ما سبق عن خصوصية وحيوية الجماهير فإننا وطبقا للتحليل السابق ودراسة طبيعة القوى وشروطها في الصراع وبدراسة الواقع التاريخي في اللحظة الحاضرة نحدد أن حركة القوى الشيطانية ستكون في اتجاه إقامة كيان فلسطيني مصطنع وهزيل ليصبح حاجزا نهائيا بين جماهير المنطقة وبين الكيان الصهيوني مع الهيمنة الإسرائيلية الكاملة عسكريا على ذلك الوطن الفلسطيني الهزيل وبالطبع مع الهيمنة العسكرية على كل ما يحيط بها استمرارا لخطتها في التوسع.

إن أخطر ما يواجه الجماهير في الأرض المحتلة هو إقرار وتحديد ذلك الكيان الهزيل المزمع إقامته ليقوم بدلا من إسرائيل بقمع الجماهير وإنهاء حركتها التاريخية الفذة.

إن الله سبحانه قد قيض للجماهير المسلمة في الأرض المحتلة أطهر وأوعى شباب الأرض وعلى هذا الشباب المؤمن أن يعي ما سبق جيدا ويتحرك في الإطار الصحيح نحو إسقاط محاولة تصفية القضية الفلسطينية في اتجاه إقامة كيان هزيل

يسحب التراكمات الثورية.

***

القوى غير الإسلامية نهج خيانة – نهج مساومة – نهج تردد

إنه لمن الأهمية بمكان رصد ظاهرة سقوط كل القوى السياسية في المنطقة ما عدا (الإسلامية الجماهيرية بالطبع) في فخ التفاوض والحلول الوسط.

إن أهمية رصد وتحليل تلك الظاهرة ينبع أساسا من كون التفاوض والمساومة يعد من أخطر الأسلحة الاستعمارية الشيطانية في إخراج قطاعات من تلك القوى من الصراع. بل واستعمالها في الالتفاف حول حركة الجماهير المسلمة وبالتالي فإنها في النهاية تخدم مخططات الغزوة الشيطانية.

ولكن بداية يجب أن نرصد بعض الحقائق التالية:

١ – أن كل القوى بلا استثناء استدرجت نحو ذلك الفخ وعلى مدى مساحة الصراع التاريخية والجغرافية، وأن الفرق بينها لم يكن إلا فرقا في الدرجة، جيروند ويعاقبة.

٢ – أن القوة الوحيدة التي لم تفقد موقفها المبدئي من تلك المسألة بما لها من حس تاريخي ومصالح حقيقية وتناقض جوهري مع الاستعمار هي القوة الإسلامية الجماهيرية.

٣ – أن القوى الغير إسلامية تتصرف تجاه الصراع بشكل متردد. فهي تارة ثورية – وتارة مساومة. وهي ترفض يوما وتقبل يوما بما أنها لا تملك رؤية منهجية في إدارة الصراع.

٤ – أن تلك القوى، لا يوجد بينها فواصل حديدية بل هي متداخلة.

وهي أحيانا تنطبق في بعض مواقفها التكتيكية حتى مع القوى الإسلامية الجماهيرية.

٥- أن هذه الدراسة سوف تتتبع في إيجاز شديد. تاريخ التفاوض وأبعاده وأسبابه وخطورته. وسوف نحدد القوى بشكل إجمالي وفي هذا الإطار فإننا ندعو لقيام مفكرين مسلمين بتتبع ذلك الأمر تفصيليا لما له من أهمية كبيرة جدا في تحصين المواقع الفكرية والحركية لصراع الجماهير ضد الاستعمار والصهيونية في تلك الحقبة.

٦- أن الاستعمار يلعب لعبة التفاوض والمساومة والحلول الوسط. ومشاريع التسوية. حينما تشتد حركة الجماهير المسلمة وتتصاعد وذلك في محاولة لتطويقها. والمتتبع لتاريخ التسوية يرى أنه في حالات الجذر الجماهيري. فإن القوى التي تطفو على السطح تكون قوى خائنة ومرتبطة بصورة مباشرة مع الاستعمار. وفي حالات المد الجماهيري تلجأ القوى الاستعمارية إلى قوى أخرى

لا ترتبط بها مباشرة. بل يمكن أن تكون في صفوف الجماهير مؤقتا ولكنها تطرح أشكالا غير صحيحة لإدارة الصراع وذلك لأن الاستعمار يدرك قيمتها في تطويق حركة المد الجماهيري من ناحية. وأنها من ناحية أخرى لا تملك الاستمرار وسوف تقع في المهادنة والخيانة بعد حل تناقضاتها مع الاستعمار عبر حرب أو تسوية.

لماذا ترفض الجماهير المسلمة. أسلوب التفاوض؟

ينبع ذلك من أمرين:

١- إدراك تلك القوى لطبيعة الصراع بما أنها تمتلك منهجا صحيحا.

٢- إدراك تلك القوى ووفقا لمنهجها ذاته للأسلوب الصحيح لإدارة ذلك الصراع.

طبيعة الصراع:

تدرك الجماهير المسلمة بحسها الإسلامي والتاريخي أن الاستعمار والغزوة الصهيونية هي آخر حلقات الصراع التاريخي بين القوى الربانية والقوى الشيطانية. وتدرك أكثر أن ضمير الأمة ووعي الجماهير هو المستهدف هذه المرة. تمهيدا لتصفية الكيان الحضاري للأمة المسلمة وتوجهاتها الربانية في تحرير العالم.

وبالتالي فإن الصراع يمتد في الزمان والمكان ليأخذ أبعادا عميقة ودرامية تمتد عبر التاريخ كله وعبر العالم بأسره.

وبالتالي فإن التناقض بين تلك الجماهير المسلمة وبين الكيان الصهيوني رأس الحربة الشيطانية هو تناقض جوهري. لا يمكن حله إلا عبر الكفاح المسلح الطويل. لإنهاء الحقبة الاستعمارية بكاملها وتدمير الكيان الصهيوني تماما. وبلا أدنى فرصة في الالتقاء على أي أرضية كانت.

وهكذا فإنه ليس هناك أي أرضية للالتقاء بين القوتين.

الأسلوب الصحيح لإدارة الصراع..

تدرك الجماهير المسلمة وطليعتها الواعية أن الأسلوب الصحيح لإدارة أي صراع لابد أن يستند إلى:

١- فهم طبيعة التحدي وهي وفقا لمنهجها فإنها تدرك ذلك بوضوح كما سبق.

٢- فهم طبيعة وتركيب العنصر المعادي. (انظر فصل طبيعة المجتمع الإسرائيلي)، وبالتالي فهي تدرك توجهات وطبيعة تركيب المجتمع الصهيوني. وارتباطه الوثيق بالاستعمار. وتوجهات ذلك المجتمع العقائدية والتاريخية فهو مجتمع توراتي حتى النخاع. ولابد من تحد مكافئ لذلك.

٣- فهم خصائص وشروط عمل قواها الذاتية. وأن القوى الإسلامية تدرك أن قوتها تنبع أساسا من إسلامها وصلابتها وأن درعها هو الجماهير وهي فضلا عن واجبها تجاه ربها ودينها ورسالتها في العالم. فإنها تدرك أن الأمة لا تتحرك إلا من خلال الإسلام. والإسلام وحده. وأن أي محاولة لتحريك الجماهير من خلال أيديولوجية أخرى هي محاولة تآمرية تخدم في النهاية مصالح الاستعمار. بما أنها تخرج الأشياء عن ظروف عملها الصحيحة.. وتعوق بالتالي حركة الجماهير وتبلبلها وتفقدها قوة دفعها.

٤- ووفقا لكل الشروط والخصائص السابقة، فإن الأيديولوجية الإسلامية

الجماهيرية وخط الكفاح الشعبي المسلح. هو الأسلوب الصحيح.

٥- وبالتالي أيضا فإن المساومة. ومشاريع التسوية. لا تتفق علميا ولا موضوعيا مع طبيعة الصراع. ولا مع خصائصه. وبالتالي فهو في النهاية فخ استعماري.

٦- وبالتالي أيضا فإن المساومة تعني:

- فقدان الالتفاف الواسع من الجماهير حول القيادة الإسلامية. وبالتالي تخفيف ضغط الجماهير على الكيان الصهيوني.

- طرح شكل جزئي. يفقد الجماهير رؤيتها الصحيحة.

ولتوضيح تلك النقطة الهامة جدا يجب أن ندرك الآتي:

- عدو توراتي - عقائدي - مسلح بأحدث الأسلحة - مدعوم من الاستعمار والحضارة الغربية تعطيه كل شيء - إفراز حقيقي للحضارة الغربية. بمعنى أنه يستوعبها ويستعمل أدواتها بكفاءة.

وبالتالي فإن محاولة مواجهته بجيوش قوية. منظمة. بدبابات وطائرات وحروب إلكترونية. فإنها محاولة فاشلة.

- لأن كل تلك الأسلحة. قد تطورت علميا وتكنيكيا في معامل الغرب ومصانعه، وبالتالي فلن نستطيع اللحاق به في كفاءتها ولا عددها. ولن يحدث ذلك مادامت الحضارة الغربية متفوقة علينا. فمهما امتلكنا طائرات ودبابات فسيكون لديه دائما أقوى وأكفأ منها.

- ومحاولة مواجهته. بإطار علماني. يجعلنا تفقد قوانا الذاتية. فضلا عن أننا سوف نرقص على دقات طبول الحضارة الغربية. التي هي في النهاية معادية لنا ولن تسمح لنا بتجاوزها. إذا فهمنا توجهاتها الصحيحة. فكيف نواجه عدونا. بمنطق هو إفراز له. ونحن تقليد مشوه.

- كما أن محاولة مخاطبة الرأي العام - والأمم المتحدة وغيرهما. لا يتفق أيضا مع طبيعة الصراع ولا مع الأسلوب الصحيح لإدارته وفقا لما سبق. لأن الرأي العام

في النهاية صنع غربي. كما أن ثقافته وتوجهاته غربية وكذلك مقاييسه (ليس من الغريب أن يقف الرأي العام مع حق إسرائيل في الوجود. بكل قواه السياسية من يمين ويسار.. إلخ – موقف سارتر مثلا – ميتران.. إلخ).

كما أن الأمم المتحدة هي منظمة استعمارية أنشأها الاستعمار لمحاولة تخفيف الضغط الجماهيري عليه. عبر قنوات فرعية.

وبالتالي فإن القوى الحقيقية التي تمتلكها هي:

- البعد الجماهيري. جماهير الأمة المسلمة. ولابد من تدعيم ذلك البعد ودفع الجماهير باستمرار لمواجهة الكيان الصهيوني. لأن الجماهير في النهاية هي الدرع الحقيقي الغير قابل للهزيمة، ١٠٠٠ مليون مسلم وكل مستضعفي الأرض من ضحايا الحضارة الغربية.

- الأيديولوجية الإسلامية بما أنها الرد الصحيح. لأنها هي المستهدفة.. وبما أنها تعطي للجماهير الوعي الصحيح والرؤية الصحيحة والزاد الحقيقي للمواجهة.

- وبالتالي فإن المساومة تعني سحب الجماهير من خندقها. وتسريحها وهو المستهدف دائما. ومن ثم الانفراد بالقيادات داخل الغرف المكيفة فكيف نذهب للتفاوض وقد نزع عنا سلاحنا. إن التفاوض يعني نزع سلاحنا. لأنه ليس لنا إلا سلاح الجماهير، والمفاوضة تعني أن الجماهير انتهى دورها.

وكذلك المفاوضة تعني أرضية مشتركة يمكن التفاهم حولها. وبما أن الصراع إسلامي ضد شيطاني. ولا لقاء بينهما فإن التفاوض يعني في النهاية فقدان المنهج الصحيح وإلقاء ظلال من الشك عليه.

ولهذا فإن خط الجماهير المسلمة. محمد ﷺ، الحسين.. عز الدين القسام. محمد الأشمر. فوزي القاوقجي. عبد القادر الحسيني.. بورسعيد ٥٦. (عاصفة ٦٥ وليس ما بعدها). حافظ سلامة (السويس ٧٣) – محمد الحلوة – لبنان ٨٢. شعب الجنوب البطل (لبنان ٨٣، ٨٤). راغب حرب – بلال فحص.

أي خط أيديولوجية جماهيرية إسلامية. حرب تحرير شعبية.

لماذا تسقط القوى الأخرى في التفاوض؟

- لعكس الأسباب السابق. تماما:

١- لا رؤية في الصراع. ولا منهج صحيح. (رؤية جزئية - منهج جزئي).

٢- تناقض ثانوي. وليس تناقضا جوهري.

٣- مواجهة الغزوة (الرقص على طبول العدو ووفقا لشروطه).

تناقض ثانوي:

والقوى غير الإسلامية لا تمتلك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني بل إنها تملك تناقضا ثانويا. بمعنى أنها تعبر عن مجموعة المصالح لطبقة معينة تكون الغزوة الصهيونية خطرا عليها في مرحلة. ومساعدة لها في مرحلة.. وفي كل الأحوال تملك تلك القوى تناقضا جوهريا مع الجماهير المسلمة وبالتالي فهي بوعي أو بدون وعي تتآمر على الجماهير ولا تتركها تواجه الكيان الصهيوني وفي الحقيقة فإن كل تلك القوى لا تملك بعدا جماهيريا إطلاقا. وهي ليست إلا مجموعة وجهاء. ومجموعة مثقفين تشربوا بروح الغرب وبالتالي فإن حركة تلك القوى تظل باستمرار داخل إطار الوجهاء وإطار المثقفين ولا تتعداها.

ملاحظة:

بعض القوى التي سندرجها تحت التناقض الثانوي. كانت لها جذور إسلامية. ولكنها لم تكن جذور رسالية ولا جماهيرية. ولا توجه لها نحو المستضعفين. وبالتالي فقد وقعت في أخطاء جوهرية (الحاج أمين الحسيني) وسوف نفرد لها مبحثا خاصا.

- في كل الحالات كانت تلك القوى تمنع الجماهير من أداء دورها وتضربها بلا رحمة ولقد استعملها الاستعمار بذكاء كحائط صد أمام الجماهير لحماية الكيان الصهيوني أو طوق حديدي لتطويق حركة الجماهير. أو تخديرها أو الذهاب بها إلى روافد جانبية.

أحيانا وفي أوج حالات المد الجماهيري الواسع فإن تلك القوى قد ترتبط بالجماهير أي أن الجماهير الكاسحة. تأخذها معها في ذيل الموجة- وهذا فضلا عن أنه قصور ذاتي في تلك القوى - المترددة - فإنه مستهدف من جانبها أيضا حتى لا تفقد وجودها. وحتى تستمر في أداء دورها باستمرار وحتى لا تنكشف. بل إن القوى الاستعمارية في تلك اللحظات كانت تتعمد تصعيد قيمة تلك القوى. ونسج أساطير البطولة حولها. مما يعطيها فرصة أكبر في أداء مهمتها في تكبيل حركة الجماهير وتطويقها.

القوى الرئيسية في التناقض الثانوي:

وهذه القوى بحكم عدم امتلاكها منهجا في الصراع وانحصارها في فئة الوجهاء والمثقفين فإنها من التعدد والتردد والتأرجح بشكل يمكنه أن يغرقنا في التفصيلات فإنك ترى إحدى هذه القوى مثلا. تنشق وتتفرغ أولا.. ثم تنشق وتتفرع ثانيا.. ثم تنشق وتتفرغ ثالثا.. ثم تنشق وتتفرع أخيرا. بدون أي داع استراتيجي أو منهجي. فيمكن لإحدى هذه القوى أن تنشطر إلى عشرات القوى تحت خلافات صغيرة جدا.

وهكذا فإننا سوف نقسمها إلى ثلاث مجموعات مع ملاحظة أن كل القوى لن تخرج عن هذه المجموعات. وأن تلك المجموعات ذاتها يمكن أن تتداخل مع بعضها في المواقف على أساس أنها غير منهجية وبالتالي فإن مواقفها غير مبررة أصلا. وأن المواقف بينها في النهاية لا تخرج عن جيروند ويعاقبة. وأنها تؤدي نفس الدور وكل في مرحلته وحسب حالة المد الجماهيري الإسلامي.

وسوف نحدد باختصار تلك القوى - وأهم سماتها - وموقف أو موقفين تساوميين للتوضيح فقط. لأن مسألة التفاوض والمساومة طويلة جدا وتصلح دراسة مستقلة.

والقوى الثلاث هي:

- الأحزاب الشيوعية.

- الحركة القومية العربية - الشريف حسين - الملك عبد الله وما يرتبط بها من أحزاب مثل حزب الدفاع - وتطورت تلك الحركة إلى عبد الناصر - ثم أخيرا جورج حبش.

- القوى والزعماء ذوو الجذور الإسلامية. ولكن غير الرسالية وغير المنهجية، وغير الجماهيرية. أمين الحسيني.... ياسر عرفات.

الأحزاب الشيوعية:

وهي أحزاب هامشية. وصغيرة جدا. وليس لها أي بعد جماهيري. كما أنها نشأت على يد الأجانب عموما واليهود خصوصا.

والأحزاب الشيوعية. بما أنها علمانية (الماركسية هي الشق الآخر من الحضارة الغربية) فهي تمتلك أرضية مشتركة مع الكيان الصهيوني. والمفروض المفتقد حتى الآن هو أن تكون تلك الأحزاب جماهيرية. إلا أنها حتى الآن لم تخرج عن كونها حلقات من المثقفين.

وحتى الآن فهي لم تؤد دورا خطيرا في المنطقة إلا بعض الطروحات النظرية الخطيرة والتي تهم بدورها في تكبيل حركة الجماهير وتمييع القضية.

وهذه الأحزاب بالطبع لم تصل إلى السلطة. وبالتالي وبما أنها صغيرة ومحدودة كما أنها لم تصل إلى السلطة فلم تلعب حتى الآن دورا خطيرا.

ولكن خطورتها تكمن في كونها الآن مرشحة لأن تلعب دورا خطيرا بعد إفلاس كل الطروحات الأخرى.

كما تكمن خطورتها في كون نصف العالم يحكمه الشيوعيون وبالتالي فهي قوة مؤثرة يجب أخذها في الحسبان.

- نشأ الحزب الشيوعي الفلسطيني بين المهاجرين اليهود أولا ثم ما لبث أن استقطب عددا من العناصر العربية في فلسطين وككل الأحزاب الشيوعية في المنطقة كانت تنشأ من الأجانب وبخاصة اليهود (الحركة الشيوعية في مصر مثلا - جوزيف

روزنتال – هنري كورييل – هليل شوارتز).

– بدأت حركة الحزب في معاداة خط الجماهير المسلمة منذ الوهلة الأولى فالحزب قد طرح «أن الجماهير الكادحة العربية واليهودية يجب أن تتجاوز الحقد العنصري والإثارة – ويجب أن تعمل على تجنب الحرب الأهلية».

نشرة الحزب أغسطس ٢٩

ناجي علوش – الماركسية والمسألة اليهودية

– قام الحزب وفيه عرب (نجاتي صدقي – موسى الدجاني) بالدفاع عن المستعمرات اليهودية إبان انتفاضة ٢٩.

* بالطبع حين يطرح الحزب شعار الأخوة بين العرب واليهود. فهو خداع كبير فكيف تحدث أخوة بين جان ومجني عليه (إن الكيان الصهيوني كله كيان استعماري).

وهكذا فإن هذا الطرح تخدير للجماهير المسلمة لتسليمها فريسة لليهود ومحاولة لتمييع القضية. ولقد فضح هذا النهج تماما حينما قام الشيوعيون بمقاتلة الجماهير دفاعا عن الأحياء اليهودية.

ولقد أدى هذا إلى استفزاز مشاعر بعض الشيوعيين العرب. مما أدى إلى رفع شعار التعريب (حدث هذا أيضا في مصر). ولكن تلك الحركة قد طوقت واستمر الحزب على نهجه القديم.

– على أي حال ونتيجة لتلك الحركة داخل الحزب. في إبان أحداث ١٩٣٣. فإنه رغم عدم مشاركته في تلك الأحداث إلا أنه لم يقف مباشرة ضد الجماهير المسلمة – ولكن اكتفى بأن يعطي تحليلا للأحداث لا يدين الجماهير ولكن ينهج إلى تزييف طبيعة الصراع ويخرجه عن محتواه الحقيقي. ولقد وصلت تلك الحركة التصحيحية داخل الحزب إلى ذروتها في مؤتمر الحزب السابع سنة ١٩٣٥.

– عاد الحزب إلى ممارسة نشاطاته المشبوهة. وتم تصفية الاتجاه الصحيح (وفقا

للرؤية العلمية الماركسية – فالحزب بكل أطروحاته خطأ من نظرنا – تعريبي وغير تعريبي) ولقد تمثل ذلك في إعلان الحزب إدانته للأحزاب والانتفاض.

– ثم ما لبث الاتجاه التعريبي ذاته أن وقع في الخطأ المباشر عندما نادى بالانخراط في صفوف جيش تشرشل (رفيق سلاح الجيش الأحمر). برغم أن بريطانيا تضرب الجماهير في فلسطين بلا هوادة.

– تطور الاتجاه التعريبي ليؤسس عصبة التحرر الوطني وكان من الشيوعيين العرب البارزين فيها: إميل توما – فؤاد نصار – إميل حبيبي – موسى الدجاني.

وآخرون (انظر جريدة فلسطين ١٨ تشرين الأول – أكتوبر) ١٩٤٧.

وقد طرح هؤلاء صيغة الدولة الديمقراطية وقبول كل اليهود الموجودين داخل فلسطين.

في ١٩٤٧ وإثر موافقة الاتحاد السوفيتي على قرار التقسيم انقسمت عصبة التحرر الوطني إلى قسمين الأول بقيادة فؤاد نصار وإميل حبيبي يؤيد مشروع التقسيم متماشيا مع السياسة السوفيتية والثاني بقيادة موسى الدجاني وإميل توما يعارض التقسيم.

– في أكتوبر ١٩٧٤ وفي محاضرة في نادي الغد (القدس). عاد أمين توما الذي عارض التقسيم سنة ١٩٤٧ عاد وأيد التقسيم.

كما أن الدكتور خليل البدري عاد وأعلن سنة ١٩٧٥: «أن مشروع التقسيم ندعو لقبوله اليوم كخطوة على حل المسألة الفلسطينية».

* ينبغي أن نشير هنا إلى موقف الشيوعيين المصريين المؤيد لجنيف – والمؤيد لعرفات أحيانا – لحافظ الأسد أحيانا. انظر جريدة الأهالي المصرية.

وهكذا فإن الحركة الشيوعية بكل فصائلها قد وقعت في المساومة والحلول الوسط وإن كل ما تطرحه من (دولة ديموقراطية – اتحاد البروليتاريا العربية واليهودية) هي طروحات مرفوضة طبقا للمنظور الصحيح للصراع وإنها في النهاية

طروحات تطويقية – وتخديرية لحركة الجماهير.

القوى القومية:

في الحقيقة فإن تلك القوى. هي أخطر قوى لعبت دورها على الساحة في التمكين للكيان الصهيوني. ولقد استعملها الاستعمار بصورة شيطانية لتكبيل حركة الجماهير. وحماية الكيان الصهيوني. وإمرار مشاريع التسوية.

ولقد قام الاستعمار بطرحها كبديل للإسلامية. فمنذ أن أوجد الاستعمار اللاشريف حسين (مؤسس حركة القومية الأول) – وتلك القوى تلعب دورها الشيطاني في المنطقة.

وطبيعي جدا كشأن كل القوى أن تلك القوة غير مصمتة بمعنى أنها تطورت وتنوعت وأخذت أبعادا مختلفة اجتماعية وسياسية وتم تلقيح بعضها بالاشتراكية مثلا (عبد الناصر – البعث) أو حتى بالماركسية جورج حبش.

وتكمن خطورة تلك القوة في أنها تطرح القومية الشوفينية – أو الاشتراكية كبديل للإسلامية. والقومية العربية هي الدائرة الأصغر ولكن القابلة للتحرير على أساس تداخلها مع الإسلامية بشكل ما وبالتالي فهي أقدر على ضرب إسلامية الجماهير. وسحب سلاح الجماهير الحقيقي وتشكيل الصراع وفق رؤية مقبولة شيئا ما. ولكنها فاسدة ومضللة.

والخطورة الأخرى تكمن في أن تلك القوة قد وصلت إلى السلطة في معظم الأقطار العربية وبالتالي فقد مارست دورها التخريبي ضد حركة الجماهير ونزع سلاح الجماهير الحقيقي (الإسلام) في مواجهة الصهيونية ومحاولة وضع الصراع على أساس محدد وتفاوضي وتساومي وقابل للحلول الوسط بل ويمكن الاعتماد على الاستعمار (بريطانيا، ثم أمريكا) لحل هذا الصراع.

ولقد تطورت تلك القوى على النحو التالي:

(أ) اللاشريف حسين وأولاده.

نشأت حركة اللاشريف حسين أو ما يسمى بالثورة الكبرى – الخيانة العربية الكبرى – بإيعاز إنجليزي استعماري وذلك لتصعيد القومية العربية كبديل للجامعة الإسلامية – ولمحاولات مستمرة – في تصفية الخلافة الإسلامية العثمانية.

ويمكننا أن نفهم خطورة تلك الحركة – في محاولتها تصفية الخلافة الإسلامية التي صمدت طويلا للضرب الاستعماري. إذ ما أدركنا أن السلطان عبد الحميد قد رفض العرض الصهيوني بتسديد ديون الخلافة رغم حاجة الدولة العثمانية المنهكة والتي كانت على شفا الإفلاس.

فحينما توجه تيودور هرتزل إلى السلطان عبد الحميد عارضا ١.٦٠٠.٠٠٠ جنيه إسترليني في مقابل أن يسمح لهم السلطان باستيطان فلسطين.. كان رد السلطان عليه أن هذه البلاد ليست له ولكنها لشعبه وهو لا يحق له التصرف فيها.

وقد وقف السلطان هذا الموقف التاريخي الرائع برغم إدراكه أن الخلافة على حافة الانهيار ولكن إسلاميته قد عصمته من الوقوع في الخطأ التاريخي – وجعلته يدرك منذ الوهلة الأولى طبيعة وتوجهات الصهيونية.

ومن هذا المنطلق رفض السلطان هذا العرض وإن كان قد أوضح أنه يدرك ووفقا لطبيعة المنحنى التاريخي النازل في وقتها أن الخلافة لابد منهارة – وأن اليهود ربما يحصلون على فلسطين بدون مقابل.

من هنا تدرك خطورة الدور الخياني الذي أداه اللاشريف حسين وأولاده الخونة من بعده. وندرك استمرار ذلك التآمر الشيطاني ضد الدولة العثمانية من جانب الاستعمار والصهيونية والذي أدى في النهاية إلى انهيارها.

* يمكن للإسلامي الرسالي أن يقف ضد أخطاء الخلافة العثمانية ولكن لا يمكن له ضرب فكرة الخلافة كبديل – أو الارتباط بالاستعمار تحت دعوى أن الخلافة مستبدة مثلا.

ولقد تميز نهج الشريف حسين وأولاده من بعده باستمرار في الارتباط بالاستعمار الإنجليزي – ثم الأمريكاني.

* قامت كل الحكومات الواقعة في هذا الإطار على أساس المساعدات الاستعمارية والارتباط الكامل بها حتى أن الملك حسين ذاته قد أصدر في ١٩٦٥ طابع بريد يحمل صورة جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتها.

ولقد سار على هذا الخط المرتبط بالاستعمار والصهيونية بعد اللاشريف حسين ابنه الملك عبد الله على النحو التالي:

١- أن إمارة شرق الأردن ذاتها أنشأت بغرض تدعيم وجود اليهود ومحاولة تنفيذ وعد بلفور - وعد بلفور صدر في حياة الشريف حسين.

٢- أن الشريف حسين ذاته وعلى يد الأمير عبد الله وزير خارجيته. قد وقع على اعتراف بوعد بلفور في ٢١ كانون الأول سنة ١٩٢١. فكان أول عربي رسمي يوقع ذلك.

٣- أن الملك عبد الله قد منح اليهودي روتمبرج صاحب امتياز كهرباء فلسطين الذي كان من أقوى أعمدة الكيان الصهيوني - أرضا واسعة من أرض الأردن ليقيم عليها مشروعه.

٤- أن الملك عبد الله ومعه عملاءه من قادة حزب الدفاع - راغب النشاشيبي ويعقوب فراج - قد أيدوا فكرة المجلس التشريعي الذي جاءت به بريطانيا لتطويق حركة الجماهير المسلمة إبان تصاعدها عام ١٩٢٢.

٥- أن الملك عبد الله استمر يتصل بالصهاينة ويلتقي بهم ويستقبلهم دائما.

٦- أن الملك عبد الله قد قام وعلى أثر ثورة ١٩٢٩ وبعد امتناع العرب عن بيع الأراضي لليهود. قام بأخذ أرض من الدولة في الغور (١٠٠٠ دونم).

سارع بتأجيرها لليهود لمدة ٩٩ سنة. ثم أخذ يوعز لرؤساء القبائل والعشائر بطلب فتح باب الأردن للأموال اليهودية لأن عندهم أراض شاسعة معطلة.

٧- أن الملك عبد الله كان ضالعا في كل مشاريع التسوية. فإما يقبلها ويحاول تمريرها من أول مشروع اللجنة التشريعية - والكتاب الأبيض الأول والثاني والثالث

ولجنة داكهوب – مشروع ينو كومب ٣٨ – ١٩٤٠.

مشروع اللورد موريسون ١٩٤٦.

وإما أنه كان يقدم هو مشاريع للتسوية. مثل مشروع الملك عبد الله والملك عبد العزيز ١٩٣٨.

وأخيرا قبول مشروع التقسيم ١٩٤٧.

وكل تلك المشاريع كانت تنص صراحة على الاعتراف بالكيان الصهيوني.

٨- في إبان ثورة ١٩٣٦ العظيمة قام الملك عبد الله بتحريض أوليائه من حزب الدفاع بإرسال مذكرات إلى الإنجليز تذكر أن عرب فلسطين راضون بالتقسيم وأن قادة الثورة لا يمثلون إلا أقلية. بل ووصل الأمر بهم إلى إنشاء كتائب مسلحة بسلاح الإنجليز واليهود لمحاربة الثورة.

٩- قام الملك الخائن عبد الله بمنع كتائب المجاهدين الفلسطينيين من المشاركة في حرب ٤٨ وتجريدهم من سلاحهم.

١٠- قام الملك عبد الله بسحب قواته من اللد

والرملة – مما أدى إلى وقوع مذبحة فيها على يد اليهود – كما أدى إلى انكسار جبهة القوات المصرية.

١١- وأخيرا في رودس – كرس خيانته – واعترف رسميا بإسرائيل ودخل في مساومات مخزية أعطى بموجبها لليهود أراضي أخرى في مقابل ضم الضفة إلى مملكته.

خط المساومة والخيانة يستمر في عهد حفيده الملك حسين. كالآتي:

١- إنشاء حلف بغداد والمشاركة فيه.

٢- مطاردة حركة المقاومة الفلسطينية منذ أن ظهرت على يد فتح والعاصفة سنة ٦٥ ثم توجها بالمجازر الوحشية في ٧٠، ٧١، ٧٢ ما أدى إلى خروج المقاومة من

الأردن نهائيا.

٣- موافقته على قرار ٢٤٢، ومبادرة روجز. وهما يكرسان الاعتراف بإسرائيل.

٤- الاتصال باليهود وزعمائهم: وعقد الاجتماعات بينهم.

٥- مشاريع الوحدة المستمرة - (مشروع الوحدة الكونفدرالية)، ومشروع الملك حسين، وهكذا استمر ذلك المنهج.

نهج المساومة - نهج الخيانة.

عبد الناصر: القومية العربية - الاشتراكية العربية:

- في الحقيقة فإن النهج الناصري ليس إلا امتدادا صحيحا وعضويا لنهج الشريف حسين ونهج الأمير عبد الله والملك حسين. وليس هناك فرق إلا في الدرجة اقتضته طبيعة تطور حركة الجماهير من ناحية. وإفلاس الملك عبد الله والملك حسين كنهج من ناحية أخرى.

فكان على القوى الاستعمارية أن تستبدل الوجوه المحروقة بوجوه جديدة لتوسع سلسلة حصارها على الجماهير.

طرح عبد الناصر أيضا القومية العربية وأضاف إليها لمزيد من التخدير والإلهاء وتطويق حركة الجماهير مقولة الاشتراكية العربية والهدف النهائي هو كسابقه.

١- إخراج الجماهير من الصراع بما أنها الخطر الحقيقي على الكيان الصهيوني.

٢- وضع أطر غير صحيحة للعمل فاشلة حتما واستبدال النهج الحقيقي في مواجهة الغزوة الاستعمارية بنهج مزيف ذو بريق (القومية العربية بدلا من الإسلامية - والاشتراكية العربية بدلا من المنهج الإسلامي في بناء المجتمع اللاطبقي.

(انظر فصل ما بعد ٤٨ ودور عبد الناصر في ذلك)

ومنذ اليوم الأول وطبقا للمنظور القومي فإن عبد الناصر قد طرح نهج المفاوضة والمساومة وقرارات الأمم المتحدة كنهج بديل عن خط الكفاح المسلح

والأيديولوجية الإسلامية. وسوف أستعين هنا بالنصوص المثبتة في الصحف المصرية والعربية، وخطب عبد الناصر ولقاءاته الرسمية فقط برغم وجود حشد هائل من الاتصالات المريبة أوردتها مصادر غربية. ولكن أكتفي بالمصادر الناصرية ذاتها والتي لا يمكن اتهامها بالتميز ضده.

١- في ٣ أغسطس ١٩٥٤ صرح الرئيس عبد الناصر بأن مصر تحتاج إلى السلام واقترح أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بدور الوسيط بين إسرائيل والدول العربية، وقال إن مصر تريد أن تنهي التوتر القائم مع إسرائيل شريطة أن يتم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة. (ليلى القاضي – شئون فلسطينية – العدد ٢٢ حزيران ١٩٧٣ – تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للصراع العربي – الإسرائيلي).

في كتاب لعبة الأمم – مايلز كوبلاند – دار الفكر بيروت ١٩٧٠.

يقرر مايلز كوبلاند أنه مع كيرمت روزفلت – وروبرت أندرسون أنه بعد هذا التصريح قد نشطوا لإجراء محادثات مع عبد الناصر وبن جوريون لتحقيق التسوية. وأن روزفلت قد حصل على موافقة عبد الناصر على ترتيب لقاء سري في يخت خاص في البحر الأبيض المتوسط وأن عبد الناصر وافق على ما يسمى مشروع جاما الذي يقضي بـ:

١- اعتراف مصر بإسرائيل في مقابل ممر يربطها بالأردن.

٢- تسوية قضية اللاجئين وفقا لقرارات الأمم المتحدة.

٣- حق الملاحة في الممرات الدولية.

كتب مايلز كوبلاند في صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٧١ يقول «في الفترة ١٩٥٣ – ١٩٥٤. تبادل الرئيس عبد الناصر عددا من الرسائل مع موسى شاريت رئيس الوزارة الإسرائيلية وأن اجتماعات سرية عقدت بين ممثلين عن مصر وإسرائيل في إحدى العواصم العربية.

في مذكرات بن جوريون التي نشرتها جريدة معاريف في ٢، ٩، ١٦، ٢٣ من شهر تموز ١٩٧١ حديث عن الرسائل المتبادلة بين مصر وإسرائيل في عام ١٩٥٣.

حسنا ليكن مايلز كوبلاند كاذبا – وليكن بن جوريون كاذبا. ولتكن ليلى القاضي كاذبة. ولكن ما رأيك بمحمد حسنين هيكل.

يقول هيكل في كتابه: عبد الناصر والعالم بالحرف الواحد:

«إن الرئيس الأمريكي أيزنهاور أوفد سنة ١٩٥٥ (روبرت أندرسون) إلى القاهرة حاملا رسالة تفيد في جملتها «أن الولايات المتحدة ترغب في حل المشكلة الفلسطينية» وإنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل.

وعقد أندرسون سلسلة من الاجتماعات مع الرئيس عبد الناصر في منزله بالزمالك، حيث بسط عبد الناصر للمبعوث الأمريكي وجهة نظره في أن أساس أي حل يجب أن يكون «مشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧».

يقول هيكل أيضا «في نفس المصدر»: بذل أندرسون قصارى جهده – ولكنه كان في المقام الأول – محكوما بالفشل – لأن الإسرائيليين لم يكونوا ينوون بالقطع الرجوع إلى الحدود المقررة بموجب مشروع التقسيم.

هل يكون هيكل هو الآخر كاذبا؟!

حسنا لننظر ج.ع. م. وزارة الإرشاد القومي – مجموعة خطب وبيانات وتصريحات عبد الناصر.

«في ٢٨ تشرين الثاني – نوفمبر – سنة ١٩٥٥ قال الرئيس عبد الناصر في تصريح نشرته الصحف المصرية. وذلك تعليقا على مشروع أيدن الذي أعلنه في خطاب سياسي في قاعة البلدية في لندن والذي يقترح فيه بحل وسط بين العرب المطالبين بحدود التقسيم ٤٧، وإسرائيل المطالبة بحدود الهدنة ٤٩ قال عبد الناصر:

«إن عودة أيدن إلى قرارات هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧ تشير إلى أن حقوق الشعب الفلسطيني لم يتم التخلي عنها وأن الوقت قد حان لإحياء تلك القرارات التي أهملت لمدة ٨ سنوات».

هل تكذب الصحف المصرية على عبد الناصر في حياته؟

- في ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٥٥ قال الرئيس جمال عبد الناصر في تصريح لصحيفة نيوز كرونكل اللندنية: «إنه لأول مرة يحاول رئيس وزراء غربي مسئول أن يكون عادلا ويذكر قرارات الأمم المتحدة وإن السيد أيدن اتخذ مسلكا إيجابيا إزاء مشكلة أهملت أمدا طويلا، ويمكن أن تؤدي مقترحاته إلى منع التوتر والتخفيف من حدته. وإنني لا أقول إن كل عربي سيوافقني على هذا. فهذه وجهة نظري الشخصية».

* انظر أيضا كتاب الصحفي المصري إبراهيم عزت بعنوان: «أنا عائد من إسرائيل».

- صرح الرئيس عبد الناصر في مؤتمر باندونج: «أن ما عرضته الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ يمكن اعتباره حلا مرضيا».

- صرح الرئيس عبد الناصر إلى مجلة (ريالتي) ووكالة (أوبرا موندي) بأن العرب راضون بما طالب به الأفارقة والآسيويين عام ١٩٥٥ من رجوع إلى مقررات الأمم المتحدة في خصوص قضية فلسطين. وذلك في عام ١٩٦٥.

- عبد الناصر يحدد عمل منظمة التحرير في أنه من أجل تطبيق قرارات الأمم المتحدة وليس من أجل الحرب الشعبية.

في عدد أبريل ١٩٦٥ أجاب عبد الناصر في حديث لمجلة ريالتي الفرنسية عن سؤال متعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية.

«وعندما تستكمل المنظمة استعداداتها سوف تشرع في العمل من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين وبحقوق العرب في فلسطين».

عبد الناصر وقرار ٢٤٢:

وصل عبد الناصر إلى حد الخيانة بقبوله قرار ٢٤٢. فبعد أن حطم عبد الناصر كرامة الإنسان في مصر - وبعد أن حال بين الجماهير المسلمة وبين أداء دورها التاريخي وبعد أن سحب الجيش المصري المظلوم في ظروف غامضة. جاء عبد الناصر ليكرس الهزيمة بقبوله قرار ٢٤٢.

وإني مضطر اضطرارا لإثبات ومناقشة ذلك القرار.

١- يؤكد القرار أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويتطلب تطبيق كل من المبدأين التاليين:

(أ) سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض احتلتها في النزاع الأخير (النص الفرنسي يقول من الأراضي المحتلة).

(ب) إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب واحترام واعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة. واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد وأعمال القوة.

٢- يؤكد أيضا الحاجة إلى:

(أ) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(جـ) ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح.

* لاحظ ما يلي:

١- الاعتراف الصريح بإسرائيل وبحدود «آمنة ومعترف بها» وهذه الحدود ذاتها لم تحدد، مما يسمح لإسرائيل بتحديد الأمن كما تفهمه والحدود التي تريدها.

٢- تضييع كل جهاد الجماهير طوال الصراع. وعدم ذكر أي حقوق للشعب الفلسطيني «تكريس نهائي للهزيمة» وضياع فلسطين.

٣- أن قبول القرار بتلك الصيغة يعني المشاركة في ذبح قضية الشعب الفلسطيني.

٤- أن القبول بالقرار يعني تجاهل واقع الجماهير المسلمة الزاحفة عبر العمل الفدائي، بل يعني التمهيد لذبح العمل الفدائي ذاته كما حدث بعد ذلك.

* لاحظ أيضا أن كلا من مصر والأردن – عبد الناصر – حسين قد وافق على القرار وأن منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة فتح والهيئة العربية العليا – بل حتى النظام السوري قد رفض ذلك القرار فما الذي جمع عبد الناصر وحسين – ما هي دوافعهم في قبول القرار برغم ما قطعه عبد الناصر على نفسه في مؤتمر الخرطوم.

إنه نهج المساومة. نهج الخيانة.

– لعل خطر ما في قرار ٢٤٢ هو أنه يجعل العرب أنفسهم يعترفون بحق إسرائيل وبحدودها ما قبل ٦٧ وبالتالي يحددون أن إسرائيل وجدت لتبقى.

ولكن القرارات السابقة لم تكن تعطي للكيان الصهيوني ما أعطاه لها قرار ٢٤٢.

– كلمة فلسطين لم ترد في ذلك القرار إطلاقا. حتى كلمة اللاجئين لم ترد كلاجئين فلسطينيين.

– جعل المطلب العربي الأقصى هو حدود ما قبل يونيو ٦٧.

– أن القرار يعني التخلي التام عن جوهر الصراع واعتباره صراعا إقليميا.

وبدلا من أن تكون هزيمة ٦٧ درسا كافيا للنظام الناصري إذا كان لديه أي حس وطني. أنه لابد من تغيير استراتيجية الصراع. لتصبح أكثر جماهيرية وأكثر إسلامية. بدلا من ذلك نجده يتحرك لتكريس الهزيمة وفلسفتها والتعامل معها كأمر واقع. رافعا شعار الواقعية.

والواقعية بالمفهوم الذي مارسته به الأنظمة العربية هي واقعية اليأس والسقوط وليست واقعية الأمل والصمود.

إن الواقعية الحقيقية تنبع من إدارة الصراع وفقا لأبعاده الحقيقية التاريخية والعقائدية.

وتعني استعمال السلاح الصحيح في الموقع الصحيح أي يعني استعمال السلاح الوحيد المتاح لها وهو الجماهير وهو سلاح عظيم قادر على تحقيق النصر النهائي. لا أن تتصرف تلك الأنظمة باتجاه نزع ذلك السلاح وضرب الجماهير وتغييبها عن

الساحة وتطويقها باستمرار.

إن الواقعية لا تعني نزع سلاحي. ثم الاستسلام لعدوي.

* على أي حال استمر النظام الناصري في تكريس الهزيمة وتصفية القضية الفلسطينية تماما ولقد شكل النظام استراتيجية على أساس الضغط على إسرائيل للانسحاب إلى حدود ٦٧.

وتمهيدا لتطبيق قرار ٢٤٢. جاء الوسيط الدولي جونار يارنج ولنبدأ الآن في قراءة الرد المصري على يارنج والمثبت رسميا.

رد على السؤال الأول جـ ١: تقبل مصر بقرار ٢٤٢. كما أعلنت سابقا.

رد السؤال الثاني: أن ج.ع.م توافق على التعهد بإنهاء كافة المطالب أو حالات الحرب.

رد السؤال الثالث: توافق ج.ع.م على التعهد باحترام السيادة والوحدة الإقليمية والاستقلال السياسي والاعتراف بها لكل دولة في المنطقة.

رد السؤال الرابع: تقبل ج.م.ع حق كل دولة في المنطقة للعيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها. آمنة من كل تهديد وأعمال قوة.

* تعليق للكاتب:

هل يعني هذا منع العمل الفدائي انطلاقا من الدول العربية.

رد على السؤال الخامس: استعداد ج.ع.م لقبول مبدأ حرية الملاحة في قناة السويس وبالطبع حذا الأردن حذو مصر عبد الناصر.

كان النظام الناصري قد وصل إلى المستنقع تماما انظر تصريح محمد حسن الزيات في تصريح رسمي مصري في ٢ أبريل ١٩٦٩.

١ - لا تشترط مصر الانسحاب المسبق أو الجلاء الكامل كخطوة أولى من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن.

٢- أن مصر قدمت تنازلات هامة أعلنها وزير الخارجية في ١١ أبريل ١٩٦٨ تلخصت في:

(أ) الموافقة على مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس.

(ب) إقامة مناطق منزوعة السلاح على طرفي الحدود بين البلدين.

(جـ) عدم وضع أي شروط مسبقة على عملية تنفيذ قرار مجلس الأمن.

مبادرة روجرز – سقوط المنطقة في السلة الأمريكية الاستعمارية.

واستمرارا في سقوط النظام الناصري. ولمحاولة مستميتة للإبقاء على نفسه كنظام غير جماهيري. ومزيدا من ضرب حركة الجماهير. وجد النظام الناصري نفسه في الظروف التالية.

- حركة مقاومة فلسطينية. يمكن أن تكون نواة للجماهير لتطيح بكل الأنظمة الوسطية وتكسب يوما بعد يوم أرضا جديدة وزخما أكبر وتعيد إلى الجماهير الفرصة للمواجهة. وهذا خطر كبير على النظام الناصري الذي يريد المقاومة وكما يحدد عبد الناصر ذاته (أن تكون رد فعل على نكسة ٦٧) أي أن يستعملها فقط لتحقيق شروط أفضل في التسوية.

انظر خطب عبد الناصر. ومقالات هيكل في الفترة من ٦٧ حتى ٧٠

- جيش مصري بدأ يلقي ضربات قوية على العسكرية الإسرائيلية مما يمكن أن يشكل ضوء وعي لدى الجماهير. ومطالبة ذلك الجيش ذاته بمعركة مصيرية وخصوصا بعد أن أثبت هذا الجيش في حرب الاستنزاف أنه قادر على النصر طالما سمح له بمباشرة القتال.

- تململ واسع في الجماهير في مصر. وعودتها إلى الشارع السياسي بعد نكبة ٦٧.

- مظاهرات الطلبة والعمال. وفقدان عبد الناصر قدرته على التضليل.

فكان لابد لهذا النظام أن يسقط نهائيا ويعلن استسلامية ليس فقط لقرار ٢٤٢ (الأمم المتحدة) ولكن للهيمنة الأمريكية ولدعوة أمريكا إلى العودة إلى المنطقة

بشكل مباشر.

* وجه عبد الناصر في ١ مايو ١٩٧٠ من شبرا الخيمة نداء إلى الرئيس الأمريكي نيكسون دعوة إلى العمل على تحقيق تسوية في الشرق الأوسط.

ردت الإدارة الأمريكية بمبادرة روجرز.

نصوص مبادرة روجرز:

١- وقف إطلاق النار لمدة محددة.

٢- التوصل إلى اتفاق سلام ينص:

(أ) اعتراف متبادل بين الأردن وإسرائيل، وبين ج.ع.م وإسرائيل.

(ب) انسحاب إسرائيل من أراض محتلة في ١٩٦٧ عملا بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

* لاحظ ما يلي:

١- ورود كلمة اعتراف بشكل صريح.

٢- أن عبد الناصر والملك حسين قبلا المبادرة. دائما عبد الناصر وحسين في خندق واحد!!

٣- استبعاد الاتحاد السوفيتي من التواجد في حل المشكلة وتسليم كل الأوراق لأمريكا وحدها. مما يعني الوقوع في الحقبة الأمريكية تمهيدا للحقبة الإسرائيلية ويعني أن كامب ديفيد في النهاية هي آخر حلقات مبادرة روجرز.

* أعلن عبد الناصر – في مقالة لهيكل بتاريخ أغسطس ١٩٧٠ بعنوان (قضايا أساسية للمناقشة وذلك ضمن حوار عبد الناصر مع الوفد السوداني):

«أن أمريكا وحدها تستطيع أن تضغط على إسرائيل في اتجاه الانسحاب وتنفيذ قرار ٢٤٢».

ألا يعني هذا أن ما قاله السادات من أن ٩٩ ٪ من أوراق اللعب بيد أمريكا. هو الامتداد الصحيح لتلك الفقرة.

وهكذا وضع عبد الناصر بقبوله مبادرة روجرز الأساس الأول والمتين الذي تحركت عليه أمريكا طول فترة السبعينيات في إسقاط وإخضاع المنطقة للنفوذ الأمريكي. وهكذا فإن عبد الناصر قد قطع الخطوة الأولى والأخطر في هذا الاتجاه الذي امتد واتسع في السبعينيات.

رد فعل الجماهير على مبادرة روجرز وقبول عبد الناصر لها.

- خرجت الجماهير وبرغم القيود الديكتاتورية الرهيبة في العالم العربي والإسلامي ترفض عبد الناصر وترفض مبادرة روجرز وتهتف. عبد الناصر يا جبان يا عميل الأمريكان. هذا وقد رفضت كل من القوى التالية تلك المبادرة:

- منظمة التحرير الفلسطينية.
- حركة فتح
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
- الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.
- اتحاد الكتاب الفلسطينيين.
- اتحاد عمال فلسطين.
- الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين.
- كثير من الأحزاب في السودان.
- حزب الاستقلال المغربي.

ولقد اتهمت تلك القوى عبد الناصر بالخيانة – وحددت أن القوى الاستعمارية ستعمل على تصفية المقاومة الفلسطينية.

وهكذا فإن مبادرة روجرز، وبعد قبول نظام عبد الناصر ونظام الملك حسين قد حددت للقوى الشيطانية المجال التالي للعمل على النحو التالي:

- الاستمرار في تمرير التسوية وإخضاع المنطقة للهيمنة الاستعمارية الأمريكية.

- ضرب حركة المقاومة الفلسطينية.

- أن القوى الجماهيرية مازالت قوية وأن عبد الناصر لم يستطع تمرير التسوية بعد الرفض الشديد والهائل من الجماهير للمبادرة فكان لابد من عمل ما يدفع بالجماهير إلى الثقة في القيادة لتكمل حلقة التسوية بعد أن فقدت تلك الجماهير تلك الثقة تماما بعد مبادرة روجرز. وهكذا فكان لابد من إخراج حرب تحريك. وهذا ما حدث في ١٩٧٣ مما تم شرحه في موضع آخر.

حركة القوميين العرب – الجبهة الشعبية.

كان من المحتوم. بعد إفلاس الاتجاه القومي المتمثل الملك عبد الله والملك حسين (الاتجاه القومي الإقطاعي) والذي انحاز بالكامل ضد مصالح الأمة. وبعد إفلاس الاتجاه المتمثل بالناصرية القومية العربية والاشتراكية. أن ينتهي الاتجاه القومي أو أن يعيد تشكيل نفسه في أطر جديدة محاولا استيعاب التطور. وحقن نفسه بأيديولوجية أخرى لكي يصبح قادرا على الاستمرار.

ملاحظة:

ليس معنى إفلاس التيار القومي الإقطاعي والتيار القومي الاشتراكي العربي أن قواهم قد غابت عن الساحة. فليس هناك قوة تموت فجأة ولكن معناه أنه أصبح غير قادر على تعبئة أحد أو القيام بمهامه في ضرب حركة الجماهير واستقطاب قطاع محدد والمزيد من الخداع. فالحقيقة الواضحة أن حرب ٤٨ قد أنهت التيار الأول وحرب ٦٧ قد أنهت التيار الثاني.

من هذا المنطلق ينبغي أن نفهم حركة القوميين العرب. فقد بدأت هذه الحركة قومية على يد قسطنطين زريق ووجدت مجموعة من الشباب تلتف حول هذه الأطروحات الموازية حتى تلك اللحظة للتيار الناصري والتيار البعثي مع بعض الاختلافات. إلا أن حرب ٦٧ وقبول قرار ٢٤٢ ومبادرة روجرز قد دفعا بذلك التيار نحو مراجعة أسسه النظرية وليطعم نفسه بالماركسية كحل أخير. بدلا من أن يكون مخلصا مع نفسه ويدرك الأبعاد الحقيقية للصراع.

ملاحظة:

حددنا بشكل واضح أن طبيعة الصراع – طبيعة المرحلة – طبيعة البعد التاريخي وطبيعة عمل الجماهير قد حددت وبشكل حاد أن الاتجاه الإسلامي الرسالي يحقق نتيجتين هامتين جدا.

١ – يعطي رؤية واضحة للصراع وبالتالي يعصم بتلك الرؤية من الوقوع في الأفخاخ الاستعمارية المتمثلة في المفاوضة والمساومة.

٢ – يعطي الجماهير الظروف الصحيحة للعمل وبالتالي القدرة على الرد الصحيح وتحقيق نتائج حقيقية ضد الكيان الصهيوني والقدرة باستمرار على التجاوب مع التحدي.

وبالتالي فإنه بقدر اقترابك من ذلك المنهج وبقدر طرحك لمقولاته فإن ذلك يجعلك أكثر صلابة ويتأخر سقوطك في الأفخاخ الاستعمارية وعلى هذا الأساس سوف نرصد تجربة الجبهة الشعبية.

الجبهة الشعبية كامتداد لحركة القوميين العرب جاءت في وقت أفلست فيه القوى القومية تماما بعد حرب ٦٧. وهكذا فقد كان من الضروري إعادة تقييم موقفها واكتشاف أخطائها.

ولكن بدلا من اكتشاف الأخطاء الجوهرية. راحت الحركة تحلل وترصد بشكل جزئي. وصحيح أن الشكل الجزئي يمس كثيرا بعض القضايا المهمة ولكنه في النهاية لا يضع لها الإطار الصحيح.

وهكذا أدركت الجبهة الشعبية بشكل غير منهجي ما يلي. ملتقية مع الإسلاميين في تلك الجزئيات.

إفلاس المنهج الاشتراكي العربي – ولكن بدلا من العودة إلى الإسلام الرسالي راحت الجبهة تطرح الماركسية كبديل.

أن القوى الوحيدة التي تمتلك القدرة والرغبة على الكفاح هي قوى الجماهير الكادحة، ولكن بدلا من أن تلتحم بتلك الجماهير وتستلهم أيديولوجيتها راحت تمارس «فوقية ثقافية» على تلك الجماهير. وتحاول أن تنزع تلك الجماهير عن درعها الحقيقي وسلاحها الأساسي لتعطيها سلاحا لا تعرفه ولا يصلح لها ولا يصلح لمواجهة الكيان الصهيوني.

أدركت الجبهة الارتباط الذي لا ينفصم بين الصهيونية والاستعمار ولكن الجبهة لم تعمق وعيها بأن الاستعمار والصهيونية جزء من التحدي الحضاري الشامل والضارب في أعماق التاريخ والجغرافية – وأن حضارة الأمة كلها مستهدفة.

وبوقوع الجبهة في تلك الأخطاء فإنها قد مارست دورين في منتهى الخطورة:

سقطت في النهاية في المساومة – وفقدت دورها القتالي.

أنها برغم معرفتها بعض المقدمات الصحيحة – خرجت باستنتاجات خاطئة، وهذا أعطاها قدرا أكبر من القدرة على ضرب حركة الجماهير وممارسة التخدير والتطويق تجاهها على أساس أن المقدمات الصحيحة تعطي للجبهة بعض الزخم والصدق وبمعنى أنها تسير مع الجماهير خطوات إلى الأمام – لتعود وتدفع الجماهير إلى المتاهات والخطوط الجانبية.

* في الحقيقة فإن كل الذين يملكون مقدمات صحيحة أو بعضها دون أن يرتبوا عليها نتائج صحيحة – فإن لهم دورا هاما جدا في إضاعة حركة الجماهير لأنه حين تفقد القوى المفلسة قدرتها على الاستمرار فإن تلك القوى الجديدة التي تمتلك بعض المقدمات الصحيحة تعود لتمارس دور القوى المفلسة وخصوصا في

اللحظات المفصلية من تاريخ الأمة. وخصوصا أنها تمتلك بتلك المقدمات الصحيحة البريق اللازم للخداع.

- على أي حال ووفقا للمنظور السابق فإن مواقف الجبهة سارت على النحو التالي:

رفض قرار ٢٤٢.

رفض مبادرة روجرز.

رفض الاندماج في قيادة الكفاح المسلح.

توسيع رقعة النضال لتشمل كل المصالح الاستعمارية مع تعريف الاستعمار تعريفا ناقصا كما سبق توضيحه.

الاتصال بالتيارات اليسارية داخل الكيان الصهيوني – وسوف نعلق على هذا الأمر في نهاية هذا الجزء من الدراسة.

وقوع الجبهة في مستنقع التفاوض والحلول الوسط والتردد.

وبما أن الجبهة لم تمتلك المنهج الصحيح في فهم الصراع فإنها سرعان ما وقعت في مستنقع المساومة والحلول الوسط برغم أن الجبهة تدرك وبشكل جزئي بعض المقدمات الصحيحة.

١- في تصريح للسيد جورج حبش رئيس الجبهة الشعبية بأنه خلال مراجعاتنا وضح خطأ تصور الجبهة الشعبية لموضوع مشروع روجرز. فقد تصورت أن المشروع معد للتنفيذ الفوري خلال ثلاثة أشهر وكان يجب ألا نقع في هذا الخطأ. الأهرام في ٢٠ يناير ١٩٧١

٢- تقدمت الجبهة الشعبية باقتراح للجنة المركزية وقعت عليه اللجنة المركزية وهو «قررت اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية تأييد أي تحرك سياسي تمارسه الدول العربية لإزالة العدوان الإسرائيلي يوم ٥ يونيو ١٩٦٧».

صدر هذا القرار بإجماع جميع منظمات العمل الفدائي

٣- طالبت الجبهة باستمرار بحل القضية على أساس دول ديموقراطية علمانية تضم المسلم والمسيحي واليهودي. مما يعني عمليا إضفاء صفة الشرعية على الهجرة اليهودية التي تمت إلى فلسطين. فضلا عما يعنيه هذا من تجاوز للبعد التاريخي للصراع وطبيعة تركيب الكيان الصهيوني.

٤- أن رفض الجبهة لمحاولات الحل السلمي في فض الاشتباك ورفض كامب ديفيد لا ينبع أصلا من كون الجبهة ترفض الحلول الوسط بقدر ما ينبع من شكل وطبيعة الحل.

٥- موقف الجبهة المائع والموافق في النهاية على مبادرة كامب «فاس» مع بعض التحفظات الشكلية.

٦- ارتباط الجبهة بشكل أو بآخر بالنظام السوري العميل.

٧- خيانة جماهير لبنان وعدم الوقوف معها بحزم.

* بالنسبة لمسألة اتصال الجبهة بعناصر منظمة ماتزين الإسرائيلية.

لقد حددت الجبهة في برنامجها بأنها ترحب بانضمام إسرائيليين يساريين ثوريين في صفوفها أو في لجان المساندة.

وخطأ هذا النهج ينبع من:

إعطاء الهجرة لإسرائيل شرعية.

إغفال التوجه الحقيقي للغزوة الصهيونية.

إلهاء الجماهير عن حقيقة الصراع وطبيعته ووضعه على مستوى طبقي فقط مع إغفال البعد التاريخي والحضاري.

تعويد الجماهير على التعامل والتعايش مع الكيان الصهيوني برغم أنه كيان استعماري بكل ما في داخله من يسار ويمين.

أن الموقف الصحيح تجاه العناصر التي ترفض المؤسسات الإسرائيلية داخل

إسرائيل هو دعوتها للخروج من إسرائيل والرجوع إلى بلادها التي جاءت منها وإذا تعذر ذلك فليأتوا ليعيشوا داخل البلاد العربية مثلا. أما أن تكون في الكيان الصهيوني. فإنك بالقصور الذاتي ستتوجه ضد أمتنا وحضارتنا وسيكون وجودك نفيا لوجودي وتحديا له وتدعيما للكيان الصهيوني.

إن خطورة تلك الدعوة تنبع أساسا في كونها ضبابا جديدا على وعي الأمة وعلى طبيعة التوجه الصهيوني. مما يجعل ذلك في النهاية إضافة إلى رصيد الصهيونية وسحبا من وعي الجماهير وحركتها.

الحاج أمين الحسيني - ياسر عرفات:

ولكي نقيم ذلك الاتجاه ينبغي علينا أولا أن نحدد قضية في غاية الخطورة لأنها تبرز في اللحظات المفصلية في تاريخ الأمة والجماهير. ولأنها لا تبرز إلا في لحظات

ما قبل النصر النهائي فإما الاستمرار وتحقيق النصر وإما تضييع كل جهود الجماهير ونضالها.

ينبغي علينا أن نحدد الفرق بين الإسلام الرسالي. والإسلام غير الرسالي.

١ - الإسلام الرسالي فضلا عن اهتمامه بالعقيدة والفقه فإنه يدرك التطور التاريخي للصراع الإسلامي الشيطاني. ويدرك دوره كطليعة مسلمة في تلك اللحظة من عمر الأمة. ويدرك مهمات الأمة ورسالتها تجاه العالم بأسره في أي لحظة من لحظات التاريخ.

ولكن الإسلام غير الرسالي. ليس إلا إسلاما لا يدرك تلك الأبعاد.

الإسلام الرسالي لا يتصرف كبديل عن الأمة ولكن يتصرف كطليعة لها.

الإسلام الرسالي يمتلك منهجا يفهم به القرآن والسنة والواقع المعاش، والإسلام غير الرسالي يمتلك مجموعة من النصوص ليس إلا.

الإسلام الرسالي يعرف أن الصراع في تلك اللحظة ليس إلا حلقة من سلسلة الصراع الطويل غير مقطوعة الصلة بما قبلها وما بعدها وبالتالي فهو يمتلك تفاؤل

التاريخ وحيوية المستقبل.

والإسلام غير الرسالي هو ابن الحاضر ورد فعل له.

الإسلام الرسالي ذو توجه جماهيري ورسالة نحو المستضعفين وبالتالي يعرف أن حليفه الطبيعي هو الجماهير المطحونة والكادحة بل ويدرك أن واجبه تجاه الله يقتضي الوقوف بحزم ضد كافة أشكال الاستبداد السياسي والظلم الطبقي ويقف مع حق الجماهير في الحرية والحياة الكريمة. ويقف مع كل المستضعفين في الأرض.

الإسلام الرسالي يتحرك بنفسية المنتصر. حتى في أحلك الظروف (الحسين مثلا).

والإسلام الغير رسالي يتحرك بنفسية المهزوم واليأس حتى ولو كان في وضع جيد.

الإسلام الرسالي يعرف أن سلاحه الوحيد هو الجماهير الواعية ولذلك فهو يثق فيها ثقة مطلقة.

الإسلام الرسالي يعرف طبيعة القوى الداعمة له ويعرف طبيعة القوى الشيطانية.

والإسلام غير الرسالي يقع في أخطاء قاتلة بالنسبة لهذه المسألة.

الإسلام الرسالي. بلغة العصر. هو التقوى. والتصدي للاستعمار والصهيونية والإقطاع وكافة أشكال والاستبداد.

الإسلام الرسالي هو عز الدين القسام. والإسلام غير الرسالي هو الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين.

ملاحظة:

الإسلام الرسالي هو منهج، والإسلام غير الرسالي يتوقف على الأشخاص والقيادة فبقدر تقوي القيادة وقربها من الإسلام الرسالي يكون إنجاز ذلك التيار وصلابته إلا أنه يقع في النهاية في مطبات خطيرة.

ملاحظة:

الإسلام الرسالي ووفقا للمنظور السابق طويل النفس بلا حدود ولا يسقط قط في المساومة. ويمتلك حيوية مذهلة.

والإسلام غير الرسالي. محدود القوة والحيوية.

ملاحظة:

الإسلام الرسالي غير قابل للتطعيم بالتشوهات القومية والطبقية والوطنية.

والإسلام غير الرسالي يمكن أن تصيبه التشوهات القومية والطبقية والوطنية وهذه التشوهات قد تكون ضيقة كما في حالة الحاج أمين أو واسعة كما في حالة ياسر عرفات.

من هذا المنطلق ينبغي تقييم الحاج أمين الحسيني والسيد ياسر عرفات.

الحاج أمين الحسيني:

يمتلك الحاج أمين الحسيني إسلام النصوص وبما أنه يمتلك إسلام النصوص فقد وقف مواقف صلبة ضد كافة أنواع الحلول الوسط على النحو التالي:

٢- رفض مشروع «المجلس التشريعي سنة ١٩٣٥».

٣- رفض مشروع الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩.

٤- رفض قرار التقسيم سنة ١٩٤٧.

٥- المشاركة في ثورة ٣٦ وحرب ٤٨. مع عدة القدرة على الاستمرار.

٦- رفض مشروع ٢٤٢ سنة ١٩٦٧.

وبما أنه غير رسالي. فقد سار على النحو التالي.

- قبول المفاوضة مع الإنجليز، وتشكيل وفود للمشاركة في ذلك بما أنه لا يدرك بشكل قاطع طبيعة التوجه الاستعماري.

* خطورة قبول المفاوضة. رغم عدم قبوله بنتائجها.

تكمن الخطورة في تلك المسألة في أن الاستعمار يلوح بسلاح المفاوضة والوفود في اللحظات الحاسمة والتي يبلغ فيها مد الجماهير ذروته وعلى مقدار مد الجماهير المسلمة يكون التلويح غثا أو ثمينا.

- بعد انتفاضة ٢٠ - ٢٢ صدر الكتاب الأول الأبيض.

- بعد انتفاضة ٣٣ صدر الكتاب الأبيض الثاني.

- بعد ثورة ٣٦ الواسعة صدر الكتاب الأبيض الثالث.

وصحيح أن الحاج أمين الحسيني لم يقبل بنتائج تلك المفاوضات إلا أنه بموافقته على تشكيل الوفود والذهاب للتفاوض رغم صلابته فيها يعني تعطيل حركة الجماهير وفرملتها بدلا من دعمها وتوسيعها ودفعها إلى الأمام للإطاحة بكل المصالح والتوجهات الاستعمارية.

كما أن ذلك يلقي ظلالا من الشك حول دور بريطانيا الاستعماري في ضرب الجماهير المسلمة ومعاملتها كما لو كانت محايدة مما يعطل نمو الوعي لدى الجماهير بطبيعة الصراع التاريخي..

* عدم الثقة بالجماهير وبقدرتها اللامحدودة على تحقيق النصر.

فجرت الجماهير الثورات المتلاحقة، وكان أهمها ثورة ٣٦ التي كانت من الشمول والاتساع بحيث إنها كانت قادرة على الإطاحة بالصهيونية والاستعمار. وبسبب طبيعة الحاج أمين الحسيني (إسلام غير رسالي) فإنه زحف مع الجماهير إلى الأمام ولكنه لم يستطع أن يكمل المسيرة فقبل بالتفاوض وأجهضت الثورة.

* الاعتماد على قوى غير جماهيرية.

لم يستطع الحاج أمين أن يقف بصلابة ضد الإقطاع كما يتطلب الإسلام الرسالي. بل واعتمد الحاج أمين أحيانا على الأنظمة العربية. وكان أحيانا يثق في بريطانيا وعندما يئس منها توجه إلى ألمانيا معتمدا عليها.

* عدم مساعدة قوى الإسلام الرسالي:

رفض الحاج أمين مساعدة وتأييد حركة الشيخ عز الدين القسام عندما طلب منه إعلان الثورة، وخط الكفاح المسلح سنة ١٩٣٥ وقد يبدو للبعض أن الشيخ عز الدين كان خلافه مع الحاج أمين مسألة تكتيك وأن الحاج أمين كان يشعر بعدم ملائمة الوقت لذلك أو أن ذلك في غير ميعاده.. إلخ إلا أن تتابع الحوادث ومواقف الحاج تثبت عكس ذلك.

على أي حال. فقد وقف الحاج أمين وبسبب إسلاميته موقفا مبدئيا مع رفض الكيان الصهيوني. ورفض مشاريع التسوية كلها. إلا أنها وبسبب عدم رسالته وفقدانه للبعد التاريخي والحضاري للمسألة لم يعتمد على الجماهير وإنما اعتمد على الملوك والرؤساء العرب تارة، وتارة على بريطانيا وتارة أخرى على ألمانيا.

* لعل أخطر ما سقط فيه الحاج أمين من أخطاء هو قبوله بالتفاوض إبان لحظة الذروة في الثورة (١٩٣٦) وبالتالي أضاع كل مكاسب الجماهير المسلمة. وأضاع الفرصة التاريخية في تحقيق النصر.

ملاحظة:

هل يمكن للقوى الاستعمارية استعمال الإسلام الغير رسالي في إضاعة مكاسب الجماهير.

نعم – صحيح أن الإسلام غير الرسالي. أكثر صلابة من كل القوى ويقف مواقف مبدئية. ولكن بسبب فقدان المنهج ولطبيعة تكوينه يأتي في اللحظات الحاسمة ويصبح غير قادر على الاستمرار.

بل ويمكن أن يستدرج شيئا فشيئا إلى مستنقع الخيانة كما حدث بالنسبة لياسر عرفات.

ملاحظة:

ولكن لا تلجأ القوى الاستعمارية إلى ذلك إلا بعد إفلاس كل القوى الأخرى وفي

اللحظات المفصلية التي تصل فيها الجماهير إلى حافة النصر النهائي.

كما أن القوى الاستعمارية. وبعد أن تفرمل حركة الجماهير المسلمة بواسطة الإسلام غير الرسالي ما تلبث أن تنقض على ذلك الإسلام غير الرسالي لتضربه. لأنها لا تطيق أي نوع من الإسلام.

ياسر عرفات.. فتح.

إسلام غير رسالي. انتهت إلى حركة وطنية غير إسلامية وخائنة.

نشأت حركة فتح. حركة تحرير فلسطين. كرد إسلامي نقي وصحيح على ظروف غاية في الصعوبة.

- فالنظام الناصري - والأنظمة العربية تضرب الجماهير بلا هوادة.

- تطرح الحل السلمي الوسطي «مشروع التقسيم» كحل للتعايش مع الكيان الصهيوني.

- تطمس كل معالم المواجهة الصحيحة (الاشتراكية العربية - والقومية العربية) بدلا من الإسلامية - حرب التحرير الشعبية.

وبعد أن وصلت تلك الأنظمة إلى أقصى خياناتها ونجحت في وضع الجماهير المسلمة تحت الرماد. خرجت فتح ومن رحم الإسلام الخصب لتصعد باسم الإسلام والجماهير وتقاتل وتطرح العمل الفدائي (العاصفة) كرد على الحقبة الملعونة.

وفي الحقيقة - فإنه عمل فذ - ومذهل وتاريخي - أن تظهر فتح والعاصفة في تلك الظروف.

ولقد سارت فتح على الخط الصحيح قبل النكبة. وبعدها بقليل. بل ووصلت إلى أن تصبح نواة لحركة الجماهير كالآتي:

٧- فلقد رفضت النكسة - وحددت أنها ليست رد فعل لها كما تريد الأنظمة

العربية ولكنها ضد الكيان الصهيوني بكامله.

٨- رفضت قرار ٢٤٢. بل واتهمت عبد الناصر بالخيانة. وحددت في بيان الرفض ما يلي:

(أ) أن القرار مؤامرة استعمارية تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية وتهدف إلى تصفية حركة المقاومة.

(ب) أن على الجماهير أن تنتزع حقها في الحرية.

(جـ) أن حرب التحرير الشعبية هي الطريق الصحيح.

٣- رفض مبادرة روجرز.

وتضمن بيان المنظمة نفس الأسباب السابقة.

- القوى الشيطانية تتحرك لاستدراج وتصفية المقاومة.

كانت المقاومة في تلك اللحظة - تأخذ موقفا صحيحا بسبب جذورها الإسلامية وكانت يمكن أن تكون وخصوصا بعد انكشاف الوجه العميل للناصرية عقب قبول قرار ٢٤٢، مبادرة روجرز أن تكون نواة تتجمع حولها الجماهير لتطيح بتلك الأنظمة وبالاستعمار وبالصهيونية ولكن القوى الشيطانية بدأت تتحرك وتزيد من كثافة حركتها لتصفية المقاومة وجرها إلى مستنقع الخيانة والتخلي عن الجماهير على النحو التالي:

٩- محاصرة منظمة فتح منذ اليوم الأول

١٠- «قام عبد الناصر باستعمال أحمد الشقيري في محاولة لتطويق فتح وخط الكفاح المسلح واستبدال ذلك بالشعارات والبيانات الإذاعية - بل إن عبد الناصر صرح أنه لا يستريح لتلك المنظمة على أساس أن جذورها من الإخوان المسلمين.

١١- محاولة عبد الناصر وضع إطار محدد حول المنظمة على أساس أنها رد على النكسة ليس إلا. وبالتالي استخدامها في تحسين ظروف التفاوض فقط.

(انظر محاولات هيكل في الأهرام للتشكيك في جدوى المقاومة)..

١٢- لما لم ينفع ذلك التكتيك. وبعد مبادرة روجرز قام عبد الناصر بإعطاء الضوء الأخضر للملك حسين لضرب المقاومة في ٦٩، ٧٠ مع العلم أن عبد الناصر اعتكف أثناء ضرب المقاومة لمدة أسبوع. وكانت خطته أنه لا يجب تصفية المقاومة بالكامل ولكن جزئيا بحيث تصبح مجرد شكل يساعد في عملية التسوية. لأن ضربها بالكامل سوف يفجر المنطقة من ناحية ويسقط ورقة من ناحية أخرى هامة في التسوية أي أن الهدف هو ضرب التوجه الإسلامي – وحرب التحرير الشعبية داخل المنظمة.

١٣- دفع عناصر من داخل المقاومة لتصرفات غير مسئولة ومحاولة دفع المنظمة من الداخل في اتجاه القومية والوطنية.. إلخ.

ولكن لماذا سقطت فتح؟

وبسبب فقدان فتح للرؤية الرسالية للإسلام فإنها:

١- لم تقف بحزم مع الجماهير في حقها في الحريات والحياة الكريمة ورفض استبداد الأنظمة.

٢- ابتعادها عن البعد الإسلامي. إلى البعد الوطني ورفض قبول عناصر غير فلسطينية داخل المقاومة برغم أن المقاومة تدرك أن عناصر غير فلسطينية ساهمت في إنشائها (إسلامية) وأن عناصر إسلامية شاركت معها في أعظم معاركها (معركة الكرامة). وهذا يفقد فتح أهم أبعادها في الصمود.

٣- عدم قيام فتح بإثراء الاتجاه الإسلامي وردع العناصر غير المسئولة داخلها والتي جاءتها لتطيح بها من الداخل.

٤- إن افتقادها للمنهج الإسلامي جعلها لا تقف بصلابة أمام الملك حسين وفضلت الخروج من الأردن بعد مذبحة أيلول وما بعدها. وقد يبدو للبعض أن عدم تكافؤ القوى بين جيش حسين المدعوم من إسرائيل وأمريكا

٥- وعبد الناصر وقوى المقاومة ربما يكون السبب، ولكن أحداث بيروت

بعدها تثبت عكس ذلك في ١٩٨٢. فلو قررت المقاومة منذ البدء الصمود والقتال حتى الموت؛ لتغير وجه المنطقة ولسقط الملك حسين سريعا.

٦- عدم إدراك فتح أن جماهيرها وحلفاءها الطبيعيين هم الكادحون والمستضعفون وطرحت برنامجا قوميا ضيق الأفق وارتبطت بتحالفات مع الأنظمة بدلا من الجماهير الغفيرة.

ولكن ما هي الخطوات التي تم بها سقوط المنظمة النهائي؟

١- التردد في رفض مبادرة روجرز في ٢٠ يناير ١٩٧١.

«قررت اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية تأييد أي تحرك سياسي تمارسه الدول العربية لإزالة العدوان الإسرائيلي يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وصدر هذا القرار الذي يعد بمثابة خط جديد للمقاومة بإجماع آراء جميع منظمات العمل الفدائي خلال عملية مراجعة شاملة أجرتها اللجنة أخيرا لظروف المقاومة.

٢- طرحت المقاومة تصور الدولة الديموقراطية كحل للمشكلة. وقد تم مناقشة هذا الخطأ الفادح في الجزء الخاص بالجبهة الشعبية.

٣- استمرت المقاومة (فتح) في السقوط شيئا فشيئا إلى أن قبلت مبادرة ريجان في ١٩٨٢ – خيانة جماهير بيروت والخروج منها.

٤- قبلت المقاومة وفتح مقررات قمة فاس التي تصفي القضية نهائيا على أساس قبول قرار ٢٤٢.

٥- سقطت فتح (ياسر عرفات) بالكامل في مستنقع الخيانة بالتوجه نحو الملك الخائن حسين والتنسيق معه وتحركات عرفات في ٨٢، ٨٣، ١٩٨٤.

٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني ١٩٨٥.

٧- والبقية تأتي.

إنه نهج تردد. نهج مساومة. نهج خيانة